كانوا همجاً

قصة طويلة

عبد الودود يوسف

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..، وبعد؛

فهذه رواية "**كانوا همجا**" للأستاذ عبد الودود يوسف رحمه الله، وهي تتخيل حال العالم عندما تعود الخلافة الإسلامية لحكم الأرض، وتقارنه بحال العالم اليوم في ظل انتشار الجاهلية المعاصرة؛ ليتبين الفرق الواضح بين حضارة الإسلام وهمجية الجاهلية.

والرواية فيها نقل لبعض همجية الواقع المعاصر وما فيه من ظلم وطغيان وفساد وجهالة وسفاهة، وكيف أن هذه الأمور إن عُرضت على العقل السليم استقبحها أشد الاستقباح ونفر منها نفورا تاما.

ومما يميز الرواية أنها كتبت في ظل الهجمة الإلحادية الشيوعية العلمانية على الأمة الإسلامية التي أعقبت سقوط السلطنة العثمانية، تلك الهجمة التي تبارى فيها أعداء الإسلام في محاربة المسلمين وأصبح في كثير من الأقطار فراعنة يتسابقون في ذلك كأتاتورك وبورقيبة وجمال عبد الناصر وحافظ الأسد.. وغيرهم، فرغم تلك الحرب الضروس إلا أن اليقين بانتصار الإسلام ملأ قلوب طلائع ذلك الجيل ولم يهزهم بطش الجبابرة الضالين.

وفي الرواية خيال علمي لم يكن يومها في سبعينيات القرن العشرين محل توقع؛ ولكن كثيرا منه أصبح اليوم واقعا لا غرابة فيه؛ مثل الاتصالات الجماعية المصورة، ومثل انتشار توليد الكهرباء من الشمس، ومن يدري فقد يتحقق بقية خياله العلمي مستقبلا وتنحل مشكلة الطرق والمواصلات في العالم!

والتصور الذي في الرواية عن واقع الخلافة تصور فيه جماليات هي من صميم المجتمع المسلم، وفيه كذلك أحيانا بُعد عن طبيعة الحياة البشرية الدنيا وأنها دار ابتلاء وفتنة؛ فجنة النعيم في الآخرة وليست في الدنيا.

- **ومن الملاحظات المهمة على الرواية** بعض التعبيرات التي تأثر فيها الكاتب بضغط الأفكار الدخيلة المتعلقة بغير المسلمين في المجتمع المسلم، فهؤلاء لهم حقوق وعليهم واجبات، وعلينا دعوتهم والبراءة من دينهم والمفاصلة العقدية معهم، فليس من الإسلام -كما في بعض عبارات هذه الرواية- أن تبني الدولة المسلمة لهم معابد، وتهيئ لهم ظروف عبادة، وتطالبهم بالتمسك بدينهم، وتطبق عليهم أحكام شريعتهم، وتفرح باعتدادهم بدينهم..، فكل هذا باطل ينافي الولاء والبراء، ولعل هذا الكلام تأثر بالخلط بين عدم منعهم بشروط معينة من أداء طقوسهم، وبين إعانتهم على تلك الطقوس، والفرق بينهما كبير كبير.

- **وكاتب الرواية هو الأستاذ عبد الودود يوسف رحمه الله**، والمعروف

باسم جلال العالم، حيث نشر بعض كتبه باسم حركي هو جلال العالم في ظل حكم البعث النصيري لسوريا.

والأستاذ عبد الودود يوسف من مواليد مدينة حمص في سورية عام ١٩٣٨م، تعلم في مساجد حمص وعلى يد مشايخها، وتخرج من كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة دمشق، وحصل على الماجستير من جامعة القاهرة، وعمل مفتشاً في مديرية المتاحف والآثار في دمشق، ثم مفتشاً في الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش إلى أن استقال في عام ١٩٧١م وتفرغ كلياً للعمل الإسلامي، وللكتابة والتأليف والنشر؛ حيث نشر عدة كتب منها: كتاب "**قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام.. أبيدوا أهله**"، وكتاب "**بناء الإسلام: الأصول والأركان – دراسة أيديولوجية**"، وعدة روايات وقصص أراد من خلالها نشر قيم وأخلاق إسلامية؛ منها: "**كانوا همجا**"، و"**ثورة النساء**"، و"**حكايات عن الصلاة**"، و"**حكايات عن القرآن**"، و"**حكايات حارثة**"..

وقد اعتقل مرتين؛ الأولى عام ١٩٦٤م، في أحداث الجامع الأموي بدمشق، عندما كان أمين الحافظ رئيساً للجمهورية العربية السورية، حيث شُنّت حملة اعتقالاتٍ واسعةٍ طالت الكثيرين من الشباب المسلم.. وفيها عانى من تعذيبٍ جسديٍ ونفسيٍ شديدَيْن، وخرج من سجن المزّة بدمشق بعد عدة أشهر وقد كُسرت إحدى أضلاع صدره..، أما الاعتقال الثاني: فكان في ٣١ آذار من عام ١٩٨٠م وهو يوم الإضراب العام في سورية تضامناً مع نقابة المحامين، حيث اتهم بالعمل على إسقاط نظام الحكم، وبعد أشهرٍ من اعتقاله

في سجن الشيخ حسن بدمشق نُقل إلى سجن تدمر وانقطعت أخباره، ويقال: إنه استشهد في سجن تدمر سنة ١٩٨٣م، رحمة الله عليه. [الترجمة مقتبسة بتصرف من الترجمة التي نشرها عنه الدكتور محمد بسام يوسف].

ولم نجد نسخة هذا الكتاب المطبوعة منشورة على الشبكة العنكبوتية، وإنما توجد نسخة نصية ليست على هيئة كتاب، منشورة على موقع رابطة أدباء الشام، فنسقنا النص على هيئة كتاب، مع تصحيح بعض الأخطاء المطبعية.

والحمد لله رب العالمين.

مجلة بلاغ

٧ ذو الحجة ١٤٤٤هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنها محاولة تعالج واقع البشرية من خلال نظرة تستشف أستار المستقبل، حيث تقوم الخلافة الراشدة التي ستعم الأرض... بلسماً للناس، وشفاء لجراحات عصور الهمجية، في جسد وروح البشرية المعذبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أول دينكم نبوة ورحمة، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله.**

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله.

ثم تكون ملكاً عاضاً فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله.

ثم يكون ملكاً جبرياً (عتواً، وفساداً في الأمة)، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله.

ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء، وساكن الأرض. لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته» "رواه البزار بسند حسن صحيح".

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا همجاً!!.

قفزت أم كريم إلى جهاز التلفاز حين أصدر إشارة رنين جميل... سألت: ما هذا؟!.. هل من بشارة أم هناك إنذار من خطر؟! ضغطت على زر العرض، فرأت على شاشة التلفاز كلمة: بشارة.. بشارة.. إلى المؤمنين في أنحاء دولة خلافتنا الراشدة... افتحوا التلفاز عند الساعة السابعة مساء... سنعلن عليكم خبراً عظيماً.

تساءلت: ما هذه البشارة؟!!..

ضغطت على عدة أرقام في جهاز الهاتف ثم رفعت السماعة، فرأت جارتها، سألتها: ما هذه البشارة التي ستعلن اليوم يا همت؟!

همت: لا أدري... وإن كنت أظن أن البشارة تتعلق بإنجاز جديد أوجده علماؤنا في مجلس "تذليل الصعوبات".

أم كريم: أحس ببعض القلق يا همت؟!.. إن مخزون العالم من النفط أخذ يقل... ولا أدري ماذا سيحل بنا إن نفد...؟...

همت: والنفط أصبح أساساً لكل سلع الحياة وأشيائها... فهو ثمين... ثمين..

أم كريم: أنت على حق... كنت أنوي الذهاب إلى سوق الخضار.. لولا أنني أخاف أن أضيع وقتي في المواصلات.. إن الازدحام في هذا الوقت مخيف...

همت: وهذه مشكلة ثانية... ويجب أن ننتهي منها... الوقت هو أثمن ما في الحياة.. ما رأيك لو طلبنا من مجلس "تذليل العقوبات" أن يتدخل لحل هذه المشكلة؟!.

ماذا يقولون..

أم كريم: حقاً!! هيا اتصلي ودعيني أرى معك.

همت: حسناً!! تلبس جلبابها وخمارها وتتهيأ للاتصال بمجلس تذليل العقوبات.. تضغط على عدة أرقام فيظهر أمامها على شاشة تلفاز الهاتف غرفة فيها عامل قسم، فتقول:

السلام عليكم... أريد المختص بقضايا المواصلات في المدن...

بعد لحظة يظهر على شاشة الهاتف كهل جميل وأنيق، يقول: أهلا أنا هيثم. من؟!

فتضغط همت على زر عندها فتظهر صورتها على شاشة تلفاز هاتفه، فيقول: أهلاً بالأخت، ما الأمر؟.. نحن في خدمتك.. نرجو أن لا تكون المشكلة عويصة.. على كل حال.. سنضمن لك إن شاء الله حلاً مناسباً.

تفضلي قولي.

قالت همت وهي تبتسم: أخي هيثم، إن وقتي يضيع.. في المواصلات.. وكذلك كل أخواتنا ربات البيوت في أنحاء الخلافة الراشدة كلها.. إنني أشعر أن قضية المواصلات كلها يجب أن يعاد النظر فيها..

ابتسم هيثم وهمس: هذا يا أخت هو ما يشغلنا الآن.. وقد وصلنا إلى نتائج ممتازة والحمد لله.. اخترعنا آلة توفر لنا النفط. ولا تضر بالصحة العامة ولا تزاحم الطرقات، وتنقل الإخوة إلى العالم إلى حيث يريدون دون أية

تكاليف.. فما رأيك..؟!..

عجبت همت، كما عجبت أم كريم التي كانت ترى وتسمع كل شيء من جهاز هاتفها...

ابتسمت همت وسألت بدهشة: عجيب هذا الاختراع!! سيريح كل المسلمين.. هذا ما يجب أن يكون..

ابتسم الكهل ابتسامة واثقة، وقال: الحمد لله.. إننا نتخلص الآن وبالتدريج من جميع ما أورثتنا إياه الحضارات الجاهلية البائدة.. كالسيارة والقطار واستعمال النفط، وإهلاك المواطنين بالضجيج، وإقلاق الأمة كلها بالتعاسات وإضاعة الوقت الذي هو أساس حياتنا..

أم كريم تبتسم وتقول: أنا أم كريم هل تسمحان أن أشارككما في هذا الحوار؟!...

أجاب الكهل بسرعة: تفضلي...

ضغطت على زر هاتفها فظهرت على شاشة الكهل وشاشة همت وظهرا على شاشتها...

قالت: وكيف توصل مجلس تذليل العقوبات إلى هذا الحل؟! وما هو الحل..؟!

ابتسم "هيثم" وقال: أما ما هو الحل فهذا سر..؟!

ستطلعان عليه مساء هذا اليوم في الساعة السابعة إن شاء الله، أما كيف وصلنا إلى هذا الحل... فقد كنا أكثر من ثلاث سنين نفكر في مشكلة المواصلات هذه، إن تعبيد الطرقات في الأرض كلها.. في أنحاء خلافتنا الراشدة يكلف ألوف الملايين.. كما أن ما يصاب به المؤمنون من تعاسة

نتيجة أصوات السيارات.. ودخانها.. وما تستهلكه من محروقات من مادة النفط الثمينة يكلف أكثر من ذلك بكثير..؛ لذلك طلبنا رأي جميع العمالقة من المختصين وفي أنحاء الأرض كلها أن يعطونا رأيهم في هذه المشكلة.. وفعلا راحت ترد إلينا آراء ناضجة... وبعد دراسة جميع الإجابات تشكل مجلس خاص من علماء النفس، وعلماء الصحة، والميكانيكيين، ومهندسي الطرقات، ومهندسي الطائرات، وبعض علماء الفضل لحل هذه المشكلة.. على أساس:

- إلغاء كل مزعجات المواصلات كالدخان والضجة والزمور.
- إلغاء الازدحام.
- توفير ما يمكن من استهلاك طرق المواصلات..
- الاستفادة من طاقات مجانية متوفرة بالكون.
- سهولة استعمال الجهاز الجديد للنقل حتى يستخدمه المواطنون كلهم في أنحاء الخلافة الراشدة.
- أن لا تكون له أية أضرار جانبية.

وقد مارست هذه اللجنة مهامها وقدمت عدة مشروعات للتنفيذ..

وقد وضعت الدولة تحت تصرف اللجنة مجموعة من المعامل لإجراء التجارب اللازمة.. فحققت والحمد لله اختراعاً مدهشاً يوفر جميع الشروط التي تحدثت لكما عنها..

وسوف يدخل هذا الاختراع مرحلة التنفيذ الواسع بعد أسبوعين..؛ حيث سيصبح لكل عائلة مركبة خاصة..

يتلعثم.. ثم يقول..: عفوا.. كدت أفشي السر.. أرجو المعذرة..، على كل

حال ستسمعون تفاصيل ذلك في الساعة السابعة مساء إن شاء الله.. والآن هل من سؤال آخر؟!..

أم كريم تقول مع همت: الحمد لله..، شكراً لكم أيها الأخ هيثم.

لا شك أن الله قد أنعم علينا كثيرا بتشكيل لجنتكم وبعد قيام الخلافة الراشدة مباشرة.. إنها تقدم خدمات مدهشة للمؤمنين في كل مكان.

هيثم يقاطعها ويقول: عفوا يا أختي.. إننا نقدم خدماتنا لكل الناس.. في دولة الخلافة الراشدة التي تعم الأرض الآن.. سواء كانوا مؤمنين.. أم غير مؤمنين..، إن دولتنا لا تمارس أي نوع من الضغط على مواطنيهم لدفعهم إلى الدخول في الإسلام.. صحيح أن عدد من لم يؤمنوا بعد لا يتجاوز الواحد في الألف.. لكننا نتقيد بقول الله تعالى (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**)..

همت وأم كريم تقاطعانه: لكننا لم نقصد شيئا مما تقول، (تتابع همت) ثم إنني لا أتهمكم أنكم تكرهون الناس على الدخول في الإسلام.. فمن أين شعرت بذلك؟ وما هو الذي يشير إلى ذلك مما قلته؟!

قال هيثم بانفعال: إنك عندما قلت: بأننا نقدم خدماتنا للمؤمنين في كل مكان فقد تضمنت هذه العبارة خطرا شديدا تقاومه الخلافة الراشدة بعنف.. لأننا نقاوم كل ما يعيدنا إلى الحياة الجاهلية التعيسة..

همت: لا أفهم يا سيدي.. أنا آسفة.. أنا آسفة..

هيثم: حسنا.. حسنا.. سأوضح لك كل شيء يا أخت.

إن دول الجاهلية السابقة لخلافتنا الراشدة.. كانت تمارس أنواعاً من الأساليب الخفية والظاهرة لدفع مواطنيها إلى الإيمان بما تؤمن به هذه الدول: فمثلا كانت هذه الدول الجاهلية الهمجية لا تعطي المنافع إلا لمن يؤمنون

بمذهبها.. كل ذلك حتى تدفع الناس إلى الإيمان بما تؤمن به.. لا عن اقتناع.. ولكن نتيجة لهذه الضغوط..، نتج عن ذلك أن هذه الدول قد انحطت بعد مدة وهلكت لأنها أصبحت تقوم على أكتاف انتهازيين ليست لديهم الكفاءة اللازمة لتقوم الدولة القوية على أكتافهم ومواهبهم فانهارت تلك الدول، وحدثت المظالم الرهيبة في ظلها.. فالملايين من المواطنين الأبرياء يمنعون من حق الكرامة والحياة. وجميع طاقات الأمة توضع بين أيدي غير الخبراء مما يؤدي إلى تبددها وضياعها... كما يؤدي إلى تأخر الأمة وضياع حضارتها.. وعدم تمكنها من الوصول إلى الحضارة التي تسعدها.. فهل نفعل نحن ذلك؟! هل نفعل ما تفعله تلك الدول الهمجية المجرمة؟؟!..

لا.. لا.. إن هذا ليس من الإسلام...؟...

أم كريم: شكراً.. شكراً يا أخ هيثم.. الحمد لله أن كان في هذه الأمة من هم من أمثالك..

هيثم: عفوا.. عفوا.. أنا لا أقوم إلا بواجبي، إنني أؤدي ما حملني الله من أمانة.. تجاهك وتجاه كل مسلم في دولتنا.. وتجاه كل إنسان يعيش في ظل خلافتنا الراشدة...

يرن جرس هاتف في غرفة هيثم فيقول لهما مستعجلا: عفوا.. عفوا... هل تحقق ما تريدان.. إن هناك من يطلبني.. ويجب أن أجيب حتى لا يضيع وقت مواطن في دولتنا...

تبتسم همت وأم كريم وتقولان: حسنا.. حسنا.. السلام عليكم... وتختفي صورة هيثم من شاشتهما...

البشارة..

لم يبق إنسان في أنحاء الأرض كلها إلا وراح ينتظر الساعة السابعة ليرى ما هي البشارة التي ستقدمها دولة الخلافة الراشدة لشعبها.

ومنذ الساعة الخامسة كانت تظهر بعض الصور العجيبة التي لم يعرف الناس لماذا تعرض..، ثم.. ظهر أحد العلماء وأمسك لوحا أسود على شكل جدار خلية نحل، أو على شكل قرص عسل... وراح يقول: هذا اللوح من معدن خاص اسمه معدن "التوليت" له ميزات عجيبة، وهي:

- **أولا:** خفة وزنه العجيبة، فكل متر مربع منه يزن كيلو غراما وربعا فقط...

- أما ميزته الثانية: فهي صلابته العجيبة أيضا.. فهو يعتبر من أقسى المعادن وأكثرها تحملاً للصدمات وللعوامل الجوية.. انظروا إلى هذا اللوح... لقد بقي ستة شهور داخل عمليات معقدة من التسخين والتبريد، والتعريض للمياه والمواد الكيماوية.. فلم تطرأ عليه أية تغيرات، انظروا إلى هذا اللوح الجديد هل ترون بينهما اختلافاً..؟!..

- أما الميزة الثالثة: فهي استعداده لنقل الحرارة بشكل صاعق تقريباً..، فهو يتأثر بأقل درجة حرارة.. انظروا: وضع ميزان الحرارة في أحد فتحات اللوح.. ثم أشعل عود ثقاب وقربه من اللوح المعدني قريباً من ميزان الحرارة... فارتفع ميزان الحرارة إلى عشرين درجة فوراً..

- أما الميزة الرابعة: فإنه يحتفظ بالحرارة بشكل يكاد يكون دائماً، فيمكن أن تبقى الحرارة فيه مائة يوم حتى تتلاشى تقريباً.. إن الحرارة التي نتجت عن

عود الثقاب تبقى مائة يوم حتى تزول منه، لهذا فهو مدهش بهذه الميزة..

– والميزة الخامسة: أن تفريغ هذه الحرارة منه ممكن جدا بواسطة أنابيب من المعدن نفسه توضع في أولها قطعة من البلاستيك، وفي آخرها قطعة أخرى من البلاستيك..

انظروا: أتى العالم بقطعة من المعدن على شكل أنبوب، ثم أتى بحلقة من البلاستيك أدخل الأنبوب بها.. ثم وضع في الأنبوب ميزان الحرارة، وألصق الأنبوب باللوح السابق الذي فيه ميزان الحرارة فانخفضت حرارة اللوح الأول فورا، وارتفعت حرارة الأنبوب إلى عشرين درجة..

– أما الميزة السادسة: فهي أن هذا المعدن مهما بلغت حرارته فإن طبقة خفيفة من الحرير يمكن أن تبعد الحرارة عن حواف المعدن وسطوحه، وتدفعها إلى داخله أي إن الإنسان يمكن أن يحمل لوحا من هذا المعدن حرارته ألف درجة بإمساكه بكفوف من حرير..

هذا المعدن العجيب قد هدانا الله إليه لتصميم أعظم آلة عرفها عصرنا الإسلامي الذي نعيش فيه. تخلصنا من ألوف التعاسات التي خلفتها لنا الجاهلية المجرمة وعصور الهمجية السابقة.

دهش الناس.. وقالوا وما هي هذه الآلة؟:

تابع العالم: أما هذه الآلة فهي موضوع البشارة التي سيذاع خبرها بعد قليل...

السيارة العجيبة

في الساعة السابعة إلا خمس دقائق.. ظهر أمير المؤمنين فالتهبت نفوس المؤمنين في الأرض كلها بالحماس، قالوا: يبدو أن الأمر خطير...

قال وهو يبتسم: السلام عليكم ورحمة الله.. وبعد... أمرنا الله أن ندفع كل ضرر عن حياتنا فقال: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**...) لذلك فقد درست الدولة المصائب التي لا تحصى والتي تخلفها وسائل النقل القديمة التي ورثناها عن عهود الجاهلية كالسيارة والقطار والطائرة... فوجدت أنها تهلك الراحة، وتدمر الأعصاب، وتستنفد طاقات البلاد... ورأت أن هذه المفاسد يجب أن تزول... فوضع علماؤنا المؤمنون تصميما لسيارة مدهشة، راعوا فيها جميع الشروط النفسية والاقتصادية والاجتماعية؛ بحيث إنها لا تؤدي إلى أية مفسدة.. وتحقق خدمة الإنسان في ظل خلافتنا الراشدة التي تسير على منهاج النبوة، فأُبشر المواطنين بهذه السيارة الرائعة.. التي أنتجها مجتمعكم الكريم مجتمع الإسلام العظيم. أقول لكل أخ ولكل أخت هيا وخلال أسبوع، سلموا سياراتكم إلى مخازن توزيع السيارات الجديدة في كل مكان واستلموا سيارات من النوع الجديد.. واشكروا الله أن خلق لكم ما في هذا الكون من مواد... وأعطاكم العلم والعقل، واذكروا إخوان الجهاد الذين أقاموا هذه الخلافة على خلاصة أموالهم وأوقاتهم... وقولوا: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**...) وأترككم الآن لتروا التفاصيل المتعلقة بهذه السيارة العجيبة...

حزن الناس جميعا حين ذكروا المؤمنين الذين سبقوا والذين عانوا من أعظم أنواع الظلم حتى بنوا الخلافة الراشدة.. ورددوا جميعا (**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا**

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...).

فورا: ظهرت على الشاشة أسرة مؤلفة من والد ووالدة وطفلة... يخرجون من بيتهم، ومع كل منهم حقيبة تناسبه... وصلوا إلى سيارة عادية.. إلا أن هيكلها كله على شكل خلايا نحل... فتح الرجل السيارة، ووضع الحقائب في مؤخرتها...

وركب الجميع... وأغلقوا الأبواب.. ضغط الرجل زرا فبدأت السيارة ترتفع وعند ارتفاعها راحت تخرج من جانبيها أجنحة. فلما أصبحت السيارة على ارتفاع خمسين متراً ظهرت كامل أجنحتها.. ضغط السائق زراً آخر.. فاتجهت السيارة إلى الأمام... وراحت تسير كالبرق... حتى وصلت إلى المدينة الأخرى... توغلت فوق المدينة.. ثم راحت تهبط وأجنحتها تختفي حتى وقفت على ظهر بناية.. فتحت الأسرة الأبواب ونزل أفرادها.. وكان على سطح البناية عدد من أقربائهم فاستقبلوهم بالترحاب...

ظهر المذيع وقال: هذه هي السيارة الجديدة..

وقودها من حرارة الشمس التي تلتقطها ألواح معدن "التوليت" وهي لا تصدر أية ضجة.. كما أنها تستطيع الهبوط في أي مكان. إن ما فيها من ألواح التوليت تستطيع أن تمد آلتها بطاقة الشمس اللازمة.. ففي كل يوم حار تستطيع هذه السيارة أن تختزن طاقة كافية لتسييرها لمدة أسبوع.. وإذا كان الجو معتما أو باردا، فإنها تشحن خلال سبعة أيام.. وتستطيع أن تختزن طاقة لمدة ثلاثة أشهر..

إن هذه السيارة قد أمنت راحة كاملة لكل الناس.. ووفرت النفط بشكل كامل.. كما وفرت تكاليف الخطوط الحديدية والطرقات المعبدة.. ثم إنها

صالحة للاستعمال كسيارة داخل المدن.. ويمكن إنتاج حجوم مختلفة منها حسب الحاجة.. سرعتها ثلاثمائة كيلو متر في الساعة..

وتتمتع بحاجز أمان عجيب: افرضوا أن سيارة من هذه السيارات كانت تسير بأقصى سرعتها في الجو... فإن فيها شاشة تكشف كل السيارات التي تبعد عنها مسافة /٢٠/ كيلو متراً.. وإذا حدث أن اقتربتا سيارة من سيارة أخرى فإن قوة مغناطيسية تتشكل في كل سيارة تتنافر مع مغناطيسية السيارة القادمة، وكلما اقتربتا زاد تنافرهما وبالتالي لا يمكن أن تصطدما بل تبتعد كل منهما عن الأخرى مسافة كافية أثناء تقاربهما.

رأى المشاهدون سيارتين تقتربان من بعضهما... حتى إذا اقتربتا جدا انحرفت واحدة إلى اليمين، وأخرى إلى اليسار... ثم عادتا إلى خطهما الأصلي الذي كانت كل واحدة منهما تسير عليه بعد أن ابتعدتا..

هل تعلمون كم وزن هذه السيارة...؟!...

عجب الناس كلهم حين أقبل رجلان إلى سيارة متوقفة ورفعاها بأيديهما بيسر إلى أعلى.. والمذيع يقول..: إن وزنها هو مائة كيلو غرام فقط.. فهل تصدقون..؟!..

وفي أجواء الضباب يمكن وبحركة بسيطة أن تتحول السيارة كلها إلى شعلة من نور.. ورأى الجميع السيارة في الجو.. قد دخلت في جو ضبابي.. رأوا سائق السيارة يضغط على زر وفجأة أصبحت السيارة كلها ضوءا باهرا...

ابتسم المذيع وقال: والآن أهنئكم يا إخوتي في دولة الخلافة الراشدة بهذا العمل العظيم، لن تسمعوا ضجيجا بعد اليوم.. ولن تزدحم الطرقات بالسيارات التي تنفث الموت والدخان.. ولن تضطر الدولة إلى تعبيد طرقات الدنيا كل

سنة.. فقد تعبدها كل عشر سنين لتصل بين القرى والمدن... ولن نستهلك بعد اليوم قطرة من النفط في محركات السيارات والقطارات والطائرات.. ولن نتكلف قرشا واحدا على مد الخطوط الحديدية.. ولن نفقد عزيزا في صدام رهيب بين سيارتين.. فاشكروا الله الذي هيأ لكم هذه الخلافة الراشدة التي تطبق الإسلام.. واذكروا أولئك المجاهدين الأبطال من النساء والرجال والأطفال الذين رفعوا على هاماتهم هذه الخلافة وقدموا دماءهم وأموالهم وكل دنياهم لنصل نحن إلى ما وصلنا إليه... وتوقف قليلا ثم قال: والآن... من أراد سؤالا فليتفضل..

فورا رن جرس الهاتف في غرفة المذيع فرفع السماعة فرأى مواطنا يسأل:

أخي الكريم: كيف نتحرك بالسيارة داخل المدينة...؟!..

المذيع: للسيارة كما رأيتم عجلات كأية سيارة أخرى... يمكن أن تستعمل للحركة داخل المدن للمسافات القريبة.. أو عند الضرورة...

أخ آخر يظهر على شاشة التلفزيون يقول: أخي: إن عندي رأيا.. لماذا لا تأخذ دولتنا التي نحبها ثمن هذه السيارات من الإخوة في الأرض كلها؟!..

المذيع: عفوا.. أنا لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال... سأتصل بالسيد الدكتور حسام رئيس الإدارة المالية في لجنة "تذليل الصعوبات"..

وبعد عدة ثوان ظهر كهل طويل يجلس على طاولة طويلة لكنها بسيطة.. ولا تزال صورته تقترب من الشاشة وتكبر حتى انتشرت على الشاشة كلها..، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أجيب أخي السائل بما يلي: لقد درسنا كلفة السيارة الجديدة.. وثمن كل سيارة سيقدمها كل مواطن بدلا من السيارة

التي سيأخذها.. فوجدنا أن ما في السيارة القديمة من حديد يعادل ثمنه ثمن السيارة الجديدة.. لذلك لن يطالب المؤمنون وغيرهم بدفع أي ثمن لسياراتهم.

يسمع الجميع رنينا... فيلتفت الدكتور حسام فيظهر على زاوية الشاشة صورة الرجل السابق، يقول: ولماذا لا تربحون..؟!..

عجب المشاهدون حين تلون وجه الدكتور حسام بالحمرة.. وظهر عليه غضب شديد..، وقال: أذكر الأخ السائل بأننا دولة الخلافة الراشدة.. لا دولة من دول الجاهلية الهمجية...، وإن ما اقترح من رأي هو خطير للغاية... إننا إذا طبقنا هذا الاقتراح فإنه يعني أن تقوم الدولة الراشدة بابتزاز الناس.. وهي قد جعلها الله من أجلهم.. يريدنا أن نعود إلى نفسية التجار.. فنسرق أموال الناس في سبيل تحقيق بعض سعادتهم..، أسأل الأخ: ما هي مهمتنا كدولة تنفذ قانون الله في الأرض؟؟ هل مهمتنا أن نخدم الناس.. أو أن نسرقهم..، إن هذه النفسية هي نفسية شركات السيارات التي كانت في الجاهلية الهمجية التي سبقت خلافتنا الراشدة...، الدولة تتاجر..، والشركات الاستغلالية تتاجر، والمواطن في كل مكان هو الذي يدفع الضريبة..، ويدفع الأموال أرباحا للدولة المتاجرة والشركة المتاجرة...

ماذا ينشأ عن هذا أيها الأخ الكريم؟!. قد لا أستطيع أن أبين لكم المخاطر المخيفة التي تنزل بنا إذا فعلنا ما اقترحه الأخ..، فسوف أترككم لرئيس لجنة "إزالة التعاسات" الدكتور قتيبة ليبين لكم الخطر...

يضغط على زر أمامه.. فيظهر رجل ليس طويلاً ولا قصيراً... عمره يزيد عن خمسين سنة.. لا تزال صورته تقترب من الشاشة حتى تملأها..، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله.. والصلاة على نبينا وعلى

المجاهدين الذين جاهدوا لإقامة خلافتنا الراشدة...، أقول: إن الأخطار مخيفة حقا..

إن حب الربح كان يؤدي إلى ما يلي: على مستوى الدولة كانت الدولة التي تربح من أبنائها تعتمد على هذه الأرباح لسد حاجات الأمة.. وبالتالي فإن اهتمامها بالمشاريع كان ضئيلا.. وقد أدى ذلك إلى ابتزاز المواطنين مرتين؛ مرة حين يدفع المواطن الضريبة، ومرة ثانية حين يدفع الربح للدولة...، أدى ذلك إلى شعور المواطن أن دولته تستغله... فكرهها... ثم تحول كرهه للدولة إلى عدم الشعور بالمسؤولية وإلى التفريط في الأعمال التي يؤديها في مجتمعه..، فانتشر نتيجة ذلك الإهمال.. وتأخير المشاريع... وتنفيذها بشكل سيئ.. وإلى حلول العذابات والآلام بين المواطنين نتيجة إهمال قضاياهم.. أو نتيجة استهلاك المشاريع التي تبنى بسرعة بمدد أقل من عمرها..، فالطريق التي يجب أن يكون عمرها خمسة أعوام.. نجدها قد تهدمت خلال سنة واحدة.. ويكون نتيجة ذلك أمران إما أن تبقى الطريق مهدّمة... غير صالحة للسير.. فيتعس الناس ويشقون.. أو تعمد الدولة إلى تجديد الطريق مرة أخرى.. فتخسر الدولة تكاليفها من جديد..، كل هذا يؤدي إلى البؤس والفقر.. فالأموال التي يدفعها المواطنون تذهب هدراً...

أما الشركات التي كانت تعمل لتربح.. فإن نظام الجاهلية يطلق لها الحرية كي تتصرف كما تريد.. لذلك كانت الشركات تسعى باستمرار إلى تبديل أشكال سلعها.. وتنشئ في كل فصل أو سنة ما يسمى "بالموضات" الجديدة.. وكلها لا تهدف إلا إلى دفع المواطن كي يجدد سلعته بسلعة جديدة..، وكانت

هذه الشركات تتعاون مع شركات الإعلان..، فتلك تخترع السلعة، والإعلان يذيع أخبارها.. ويزينها للناس.. مما يضطرهم إلى شراء السلعة الجديدة.. ويشعرون بالعار إن لم يشتروها.. وهكذا ترمى سلع ومنتجات بألوف الملايين في صناديق القمامة.. فتخسر الأمة طاقاتها.. لتربح الشركات أرباحاً طائلة...

ونرى من جانب آخر أن الشركات التي تسعى للربح.. كانت تحرق ألوف الأطنان من المواد الزراعية كي تحافظ على أرباحها.. وحتى لا ينخفض ثمن السلعة في السوق.. وهناك الملايين يموتون من الجوع في أنحاء العالم كله.. كل ما سبق قد جر إليه الجشع.. وحب الربح.. فهل يريدنا الأخ أن نعود إلى هذه الظلمات.. إن هذه جريمة منكرة.. يجب أن نلاحقها.. لا أن نطبقها..

يجب أن لا نعود إلى أساليب الأنظمة الجاهلية الهمجية التي خلصنا الله منها على أيدي ألوف الشهداء من إخواننا الذين سبقونا بالإيمان...، وأترك مكاني الآن إلى أخي الدكتور حسام رئيس اللجنة المالية في مجلس "تذليل الصعوبات".

يظهر الدكتور حسام من جديد: يقول: الحق أن دولة الخلافة الراشدة قد ربحت أرباحا عظيمة شريفة.. لا تؤدي إلى أي شر.. فإنها حين توفر لها ألوف الملايين نتيجة عدم حاجتها إلى مد السكك الحديدية.. وبناء الطرق الجديدة، وانخفاض عدد المرضى النفسيين والصحيين وما يكلفه ذلك من وفر في بناء المشافي وتوزيع الأدوية.. كل ذلك قد حقق توفيرا ضخما جدا.. يمكن أن يعتبر هو الربح الذي ربحته الأمة والدولة من مشروع السيارة.. وهذا الربح كبير.. وهو ربح ليس شريرا كأرباح الشركات والدول التي كانت في العهود

الهمجية، بل هو ربح مشروع طيب.

يرن الهاتف من جديد... وتختفي صورة الدكتور حسام وتظهر صورة المذيع يرفع سماعة الهاتف، فيظهر مواطن يسأل: سيدي المذيع..، فيتلون وجه المذيع ويقول: قل: يا أخي.. قل: أخي..، لا تقل: سيدي..، إن هذا من رموز العبودية الجاهلية.. فالمؤمنون كلهم إخوة..، قل: يا أخي..، ولا تذكرنا بالجاهليات واستعباد الناس بعضهم لبعض..

يعود السائل ويقول: أستغفر الله..، أقول: أخي الكريم.. (فتنفرج أسارير المذيع)..، يتابع المتكلم: هل أستطيع الاحتفاظ بسيارتي القديمة.؟!... إني أحب أن أستمر في السير على الطرقات الأرضية...

المذيع يتلون وجهه من جديد بالأسى ويقول: حسنا.. سيجيبك على سؤالك السيد رئيس لجنة التشريع في مجلس "تذليل الصعوبات" الدكتور هاشم.

يختفي المذيع.. ويقترب من الشاشة رجل يميل إلى النحافة حتى يملأ الشاشة: يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أجيب أخي بأنه يستطيع الاحتفاظ بسيارته فقط كذكرى تاريخية، أما أن يستعملها فهذا غير ممكن.. لأن الأضرار التي تصيب صحة الناس.. مع هدر الإمكانيات كالنفط مثلا.. هي من الفساد، ونحن اعتمادا على أن الفساد لا يجوز في دولة الإسلام.. ولا الضرر.. ولا الاعتداء على الآخرين.. فإننا يجب أن نمنع استعمال السيارات القديمة.. لما ينتج عنها من أضرار خطيرة.

تعود صورة السائل، ويقول: أليس في هذا تعد على حريتي، واعتداء على حقوقي.؟!. إنني أعترض.. أعترض..، فالإسلام كرمني وجعلني حراً.. وأنتم

تجبرونني على أمر لا أريده.. إنكم تخالفون الإسلام..

يلتفت الدكتور هاشم ويقول للمذيع: أظن أن الإجابة على هذا الأخ هي من اختصاص لجنة "الحفاظ على الحريات".

يظهر المذيع، ويختفي الدكتور هاشم..، يقول المذيع: سيجيبك على رأيك الدكتور "أمانة الله" رئيس لجنة الحفاظ على الحريات..

يظهر رجل أسود.. متوسط الحجم، عمره أربعون سنة..، ولا يزال يقترب حتى يملأ شاشة التلفاز..، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..، أجيب أخي الكريم بما يلي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**رحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده**». ويقول في حديث السفينة..: «**مثل القائم على حدود الله والمفرط فيها كمثل قوم ركبوا سفينة**...» (إلى آخر الحديث)... من هذا تبين أن حرية المرء محدودة بعدم الاعتداء على الآخرين..، إن الأنظمة الجاهلية الهمجية الغابرة كانت تقول: الحرية مكفولة..، والحق أن الذي كان مكفولا هو الفوضى. فالرجل حين يتصرف تصرفات ضارة بالآخرين يجب أن يؤخذ على يديه.. فليس من الحرية أن تخرج المرأة عارية في الطرقات.. ولا أن يشرب المرء الخمر... ولا أن يبني أي إنسان أي معمل إذا توفر له ثمنه فقط...لا... إن المرء حين يشرب الخمر فإنه يؤذي نفسه ويذهب عقله... ويحكم على الأجيال التالية من نسله أن يخرج بعضها مشوها.. وكل هذا اعتداء على الناس وعلى الأمة وعلى نفسه، هذا ما كانت تفعله الدول الهمجية الغارقة في الظلام منذ آلاف السنين وحتى قبيل قيام دولتنا الإسلامية الراشدة.. التي عمت الأرض.

وليست المرأة حرة حين تخرج إلى الشارع بزينتها.. لا..، إنها حين تفعل

ذلك فإنها تثير الشباب.. وإذا ثاروا زنوا... وإذا زنوا هلك المجتمع؛ بالنساء اللائي يزنين.. فلا يجدن الأزواج.. أو يلدن الأولاد دون آباء.. أو يدفعهن الرجال إلى عدم الزواج الشريف.. فتهلك نساء من الحسرة لأنهن لم يتزوجن... هذا عدا انتشار أمراض الزنى الرهيبة...

وليس الرجل حراً أن يبني المصنع إذا توفر له ثمنه... لا...، يجب أن تتوافر له أيضا شروط كثيرة منها أن لا ينتج سلعا ضارة... وأن لا يبني مصنعه في مكان يؤذي الآخرين..، وأجيب الآن الأخ: إن بقاء سيارتك القديمة مستعملة سوف يؤدي إلى إضرار بصحة الناس، وفي الدخل العام للمواطنين. كما سيستهلك النفط الذي هو مادة نادرة وضرورية لألوف المصالح الأخرى.. كما أنك لن تكون أنت وحدك الذي سيطلب هذا الطلب.. بل سيسير على دربك كثيرون مما يفوت على الأمة منافع هائلة.. ويوقعها في أضرار جسيمة...

السائل يقول بحدة: لكن هذا يضرني أنا...؟...، يتلون وجه رئيس لجنة الحفاظ على الحريات، يقول: هل يحرمك هذا من حاجة لك...؟... إنك ستأخذ سيارة أفضل من سيارتك تحقق لك كل حاجاتك في الانتقال.. ودون تكاليف..، فماذا بقى لك من سيارتك القديمة.؟.!! السائل يظهر من جديد، ويقول: بقيت النواحي العاطفية..، إنكم لم تراعوها.. إنني أحب سيارتي..، يجيب رئيس لجنة الحفاظ على الحريات: إن الاسترسال مع الهوى عبودية له..، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**». ويقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»..

عشرات الاتصالات مع غرفة الإذاعة...، يظهر أناس غاضبون جداً...، يقولون بالتوالي: أرى أن لا تستمروا في هذا النقاش غير المجدي..

(آخر): إن هذا الأخ يريد أن يفرض على الأمة رأيه..، يريد أن يعيد إلينا عهد الديكتاتورية الهمجية الفاجرة...

(آخر): إن الخلافة الراشدة مهددة من قبل أمثال هذا الرجل..

(آخر): أرى أن يدخل دورات تثقيف وتربية في "معاهد تربية المواطن المسلم" حتى يعرف حدوده...

(آخر): هذا عنصر كشف عن نفسه.. يجب أن لا يهمل..

(آخر): كنا نظن أن دولتنا تخلو من أمثال هؤلاء الذين يريدون أن يعيدونا إلى عصور الهمجية..

(آخر): لا مراء.. لا جدل... الأمور واضحة.. هذا منحرف...

المذيع: أرجو من إخوتنا جميعاً أن يعفوا ويصفحوا...

يرن جرس هاتف من جديد، يرفع المذيع السماعة فيظهر أمير المؤمنين.

يسرع المذيع، ويقول: أيها الإخوة.. أمير المؤمنين يريد الحديث إليكم..

تقترب صورة أمير المؤمنين من الشاشة.. حتى تملأها: تهتز قلوب الأمة كلها...، يقول والغضب قد سيطر عليه: أرجو أن يكون إخواننا في كل مكان بعيدين عن المهاترات.. التي تؤدي إلى فرقة في صفوفهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: (**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**)... وأنتم تعلمون أن أعظم علامات تاريخنا الجاهلي الهمجي الإجرامي هي قيام النزاعات المستمرة بين المسلمين لأتفه الأسباب.. نعم.. لأتفه الأسباب..، وقد تطورت هذه النزاعات التافهة إلى حروب مدمرة استفاد منها الأعداء فطردوا إخواننا من الأندلس،

وبقيت الشعوب العربية مئات السنين في حضيض التخلف والهمجية بسبب فرقتها...، فلا تسيروا في هذه الدروب... لا تسيروا فيها...

إنني وحسما لكل نزاع، ورغم أن الحق واضح، والإنجاز الذي قدمه لنا علماؤنا عظيم... عظيم...، إلا أنني أرى أن يجري تصويت عام على استخدام السيارة القديمة، إن هذا الاستفتاء كما تعلمون لن يكلفنا أكثر من ساعة واحدة...، فلنفعل..، أنتظر من إخواني أمراء البلاد أن يوافوني بالنتيجة فوراً...

المذيع يقول: تعالوا لنرى ماذا يجري..؟!...

استفتاء

تعرض فورا قاعة في بيت: رب الأسرة مع زوجة وولدين شابين، يقول: هل توافقون على بقاء السيارة القديمة..، يقولون جميعا: لا.. لا..، كيف نرضى ببقائها وفيها ضرر.. والله حرم الضرر..

يرفع رب الأسرة السماعة، فيظهر رجل في الأربعين في مكتب عليه لافتة مكتوب عليها: أمير شارع المأمون، يقول رب الأسرة: أسرتي لا توافق...، أمير شارع المأمون يرفع السماعة فيظهر مكتب مكتوب عليه: أمير حي الطاهرة، فيه رجل في الأربعين، يقول له أمير شارع المأمون.. أخي: إن شارع المأمون كله لا يوافق على استعمال السيارة القديمة. أمير حي الطاهرة يرفع سماعة الهاتف بعد أن يضغط على عدة أرقام فيظهر أمير مهيب في مكتب واسع، وبسيط.. يقول: أخي أمير مدينة أنس إن حي الطاهرة لا يوافق على

استعمال السيارة القديمة لما تبين من أضرارها... ولما في السيارة الجديدة من حسنات.. يرفع أمير مدينة أنس السماعة فيظهر أمير بلاد العراق، يقول: أخي حضرة الأمير: مدينة أنس لا توافق على إعادة استعمال السيارة القديمة التي هي من نتائج الحضارات الهمجية البائدة.. لما تبين فيها من أضرار في نفوس الناس وصحتهم واقتصاد البلاد.. ولما تتمتع به السيارة الجديدة من حسنات وما تحققه من وفر عظيم للأمة في كل شيء..، أرجو إبلاغ تحياتنا لأمير المؤمنين. يرفع أمير بلاد العراق سماعة الهاتف فيظهر أمير المؤمنين، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. إن بلاد العراق لا يوجد فيها موافق واحد على إعادة استعمال السيارات القديمة الضارة التي هي من عصور الهمجية البائدة...

تقترب صورة أمير المؤمنين من الشاشة حتى تملأها... يقول وهو في حالة دهشة عظيمة...: جميع البلاد في خلافتنا الراشدة لا توافق على إعادة استعمال سيارة الحضارة الهمجية الماضية الضارة..، أنا قلق..، هل رفض الأخ المعترض.. أن يصوت..، أنا خائف عليه..، هل آذاه أحد؟!.. أرجو أن يتصل بي فورا.. وإلا استنفرنا البلاد كلها بحثا عنه..

يرن جرس الهاتف، يرفع أمير المؤمنين السماعة، فيظهر الرجل الذي اعترض سابقاً وهو يبكي: يقول أمير المؤمنين بدهشة: هل آذاك أحد...؟!... يمسح الرجل دموعه ويتوتر الجو في البلاد كلها...، ثم يقول: لا... لا... يا أمير المؤمنين.... أسفت وندمت لأني خالفت الأمة كلها...، يسأله أمير المؤمنين بلهفة: هل أعطيت صوتك في الاستفتاء...، فيجيب: نعم يا أمير

المؤمنين رفضت أن تبقى السيارة الهمجية مستعملة. يبتسم أمير المؤمنين... ويفرح الناس كلهم في بيوتهم...، بينما يتابع الرجل: إنني أتوب إلى الله لأنني كنت أصر على رأي سخيف يضر بالأمة...، ثم يقول بانفعال: سأحرق سيارتي القديمة..، يغضب أمير المؤمنين ويقول: لا.. لا..، لا يجوز لك أن تحرق سيارتك فتفرط بما فيها... وتتلف ما يمكن أن ينتفع المسلمون به... فتكون من المبذرين من إخوان الشياطين...، أرى أن تعيد دورة «المواطن المسلم» في المعاهد المختصة.. فما رأيك؟ فيجيب الرجل بالموافقة... وتختفي صورة أمير المؤمنين وهو يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وتردد الأمة كلها: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... بينما يظهر المذيع من جديد، ويقول: هنيئا لكل مؤمن في أرضنا.. هنيئا لكل شريف.. هنيئا لكل إنسان... إن أمة الإسلام تعطي أعظم الأمثلة.. وها نحن قد رأينا أحدها... (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا**...).

يرن الهاتف عند المذيع فيرفع السماعة فيظهر عالم مهيب يقول: أحب أن أعلن أن مائة وتسعة وعشرين ألفاً... وثلاثمائة وستة وخمسين مواطنا غير مسلم قد أعلنوا رغبتهم في الدخول في الإسلام بعد ما جرى من حوار حول السيارة الجديدة...، ونحن إذ نرحب بإخواننا هؤلاء نقول لهم باسم دائرة الإفتاء التي أنا رئيسها هل من أحد يريد أن يتحدث لماذا أحب أن يصبح مسلما؟...

يرن جرس الهاتف، فيرفع المفتي العام السماعة فيظهر رجل أوروبي يقول: إن عظمة ما رأيته من حرية "وحرص" شديد على دفع الأضرار عن الناس في قضية السيارة الجديدة هو الذي دفعني إلى الإيمان...، لقد قلت:

إنني أتمسك بدين فيه الكثير من الخطأ... والخطأ يجر الظلم والمصائب علي وعلى إخواني... وأنا أشعر بالامتنان العظيم لما تقدمه لي دولة الخلافة الراشدة من تكريم وعدل...، وأقول الحق: لقد أثر فيَّ جدا الأخ الذي طلب إبقاء السيارة القديمة.. فإن تراجعه عن خطئه قد حرضني أنا أيضاً على التراجع عن خطئي فتركت ديني الذي فيه أخطاء...، أرجو أن يغفر الله لي حياتي الماضية.. وأن يقبلني في عباده الصالحين..

يرن جرس الهاتف من جديد وتظهر صورة رجل هندي يقول: كنت بوذياً... أوصاني أبي أن أبقى على ديني... ورغم اقتناعي أن رأي أبي كان خاطئاً إلا أنني حرصت أن أنفذ وصيته بأن أبقى بوذياً، لكن الذي أثر في نفسي هو تراجع ذلك الأخ المسلم الذي أحب أن يبقى مستعملا للسيارة القديمة، وانصياعه للحق..، فقلت: الحق أحق أن يتبع...، إنني أغامر بحياتي وآخرتي حين أطيع رأي أبي السخيف..، كم أتمنى أن أصبح عضواً كاملاً في الإسلام العظيم... أرجوكم اقبلوني...

المذيع: مرحبا بالأخ المسلم.. مرحبا به...

يظهر المفتي ويقول: لا نستطيع أن نرفض طلب إنسان يريد الدخول في الإسلام...، أعلن للمسلمين أن نسبة غير المسلمين في خلافتنا الراشدة قد انخفضت من واحد في الألف إلى أقل من ذلك بعشرة في المائة...، نرجو أن يهدي الله إخواننا الآخرين كي يصبحوا معنا من المسلمين..

ويظهر المذيع ويقول: والآن أستودعكم الله...

وفجأة رنت سبع هواتف في غرفته.. يقف أمامها مندهشاً.. يقول: عفواً.. عفواً.. لن أودعكم حتى أجيب على جميع أسئلتكم...

يفتح باب القاعة يقترب شاب قوي البنية، يميل إلى السمنة.. يقترب من المذيع الذي يتكلم مع مواطن على الهاتف..، يلتفت المذيع إليه ويقول: أهلا أخي "دامر"، يقول له: أرسلني مدير الإعلام كي أستلم العمل بدلا منك... وتذهب أنت لترتاح..

المذيع: عفوا... أستطيع الاستمرار... إلا إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك...

يبتسم دامر ويقول له: إن لديك أعمالا كثيرة.. هيا اذهب إلى أعمالك الأخرى..، المذيع الأول يغادر القاعة وهو يتوجه إلى المواطنين ويقول: السلام عليكم.. ورحمة الله وبركاته...، أرجو أن تمضوا سهرة طيبة مع أخي دامر... ويخرج...

دامر يتناول أول سماعة فتظهر أم كريم تقول: تعرض المتكلمون للكثير من قضايا العصور الهمجية البربرية السابقة... فهل نستطيع أن نرى صورا حية عن بعض جوانب الحياة الهمجية...

يبتسم دامر ويقول: طبعا.. طبعا..، إن الأخت تعلم أن جميع مراحل الحياة الهمجية وأساليب معيشتها وتعاملها موجودة في مركز «الحضارات الهمجية». وهي مصورة على أفلام حسب موضوعاتها... فإما أن تتصل الأخت أم كريم بالمركز لإعارتها أي فيلم تريد عن أي جانب من جوانب الحياة الهمجية... أو نعرض نحن هذا الفيلم.. إذا كانت هناك رغبة لدى

المواطنين.

يزداد رنين الهاتف.. يرفع دامر سماعة فتظهر "همت" تقول: إن موضوع الديكتاتوريات في الجاهلية موضوع خطير...، وكذلك قضية المرأة، أرجو أن توافق إدارة الإعلام على عرضها في التلفاز..

يجيب دامر: حسناً.. حسناً.. ثم يرفع سماعة أخرى فيظهر رجل يقول: أرجوكم اعرضوا لنا فيلما عن قضية الشركات والأرباح...

وآخر يقول: أرجو أن تعرضوا لنا فيلما عن الاستعمار..

وآخر يقول: أرجو أن تبدؤوا بعرض فيلم عن فساد الضمائر..

وآخر يقول: أصحيح أن مجاعات كانت تحدث في الحضارات الهمجية السابقة...؟!..

دامر يبتسم ويقول: حسنا.. حسنا.. حسنا..، أرجو أن تسجلوا طلباتكم عند قسم الاستعلامات ليقوم بتنسيقها وسأسأل إدارة الإعلام إن كانت توافق على عرض ما تريدون.

هاتف يرن ودامر يرفع السماعة يظهر مدير إدارة الإعلام يقول: إن الإدارة توافق على عرض هذه الأفلام بناء على طلب الإخوة المواطنين...، وسنبدأ بالأفلام المتوفرة...، اتصل أيها الأخ دامر بمركز الحضارات الهمجية واطلب إرسال الأفلام المتوفرة من الموضوعات التي طلب الإخوة المواطنون عرضها...

يرن جرس الهاتف..، يرفع دامر السماعة فيظهر رجل أسود حسن الهندام

وتظهر خلفه علب أفلام كثيرة، يقول: أخي دامر.. جميع الأفلام المطلوبة جاهزة.. وسأرسلها لكم كلها..، أقترح أن يعرض فيلم الديكتاتوريات أولا.. لما فيه من فظائع تشيب لها الرؤوس وأرجو أن تكون تعليقاتكم عليها علمية وعادلة...

حسنا: يلتفت دامر إلى الشاشة، ويقول: أيها الإخوة المواطنون سنعرض عليكم بعد دقيقتين فيلما عن الديكتاتوريات الهمجية البائدة..، تلك الأنظمة من الحكم التي دمرت القيم، وأفسدت الأخلاق.. وأهلكت الشعوب... وجعلت الناس عبيدا لغير الله.. الآن نبدأ العرض...

دكتاتورية همجية

تظهر قاعة ملكية رائعة والجند مصفوفون، وبعض القادة والوزراء يجلسون إلى جانب الملك.. والملك على عرشه كالطاووس.. يقف.. فيقف الجميع له.. يقول: ما رأيكم أيها السادة في ابني "جحشير".. يشير الوزراء، ويقول: إنه عظيم يا مولاي... يستحق أن يكون ملكاً بعدك على بلاد الأكوادوريس...، يقهقه الملك قهقهات عالية... ويقهقه الناس في المجلس بعده...، يقول: إذن بايعوه ليكون عليكم ملكا بعدي..، يقول أحدهم: نخاف أن نزعجه الآن يا مولاي إنه نائم...، يقول الملك: .... لا... لا....، بايعوه وهو نائم... يتوجه الجميع إلى سرير في وسط القاعة... تكشف خادمة غطاءه... فيظهر رجل رضيع يمص إصبعه.. يقولون جميعا وبصوت واحد: بايعناك يا مولانا الأمير

جحشير... وأنت العظيم القدير.. أن تكون علينا ملكاً بعد أبيك... الملك العظيم "همشير". يضحك الملك.. ويصمت الناس كلهم.. ثم يصيح: حسنا...

اكتبوا عهدا ووقعوه وليبايع الشعب كله ولدي العظيم جحشير وليا للعهد بعدي...

تبتعد صورة القاعة رويداً... رويداً حتى تتلاشى. وتظهر قاعة جديدة فيها الوزير مع أحد قادة الجيش. يقول الوزير: ما هذه المساخر.. الملك يطالبنا أن نبايع طفله ملكا بعده.. وما يدرينا أن يكون هذا الطفل مجنوناً أو جاهلاً أو أحمق؟!

يقاطعه القائد ويقول له: ما رأيك لو طردنا الملك واستلمنا الحكم بعده..

الوزير: بشرط أن أصبح أنا ملكاً.. وأنت رئيس وزرائي..

يصيح القائد: عظيم.. عظيم.. أنا موافق..

نرى القائد يوشوش مجموعة من الضباط في مجلس واحد.. وكلهم يقولون: موافقون.. موافقون..، وبعدها نرى عدداً من الدبابات تقترب من قصر الملك بسرعة.. وعددا آخر يحاصر مبنى مكتوبا عليه دار الإذاعة، وبعد قليل نرى الملك معلقاً في مشنقة..

يعانق الوزير القائد... ويعلن للناس أن الوزير قد أصبح رئيساً للدولة..، ويأتي سفراء الدول إليه مهنئين بالمنصب الجديد.. ولكنه يعتذر بأنه مشغول... كان يجلس في غرفته يفكر... ثم يتصل فورا بأحد أقربائه ويقول له: تعال إلي فورا، فيأتي إليه، فيقول له: إني أخاف أن يتآمر علي القائد كما تآمرت معه على الملك.. ما رأيك ماذا نفعل؟!..

فيجيبه: تدعوه وجميع القادة إلى مجلس خمر... وعلي الباقي..

ونرى الوزير مع جميع قادة الجيش يجلسون على مائدة خمر يسكرون... وفجأة يفتح باب القاعة ويدخل قريب الوزير مع عدد من أتباعه.. يصوبون بنادقهم إلى القادة، فيقوم القادة مذعورين.. وبعد قليل نراهم يرمون بالرصاص ويقتلون... ثم يدفنون في قبر واحد..

تعلن الإذاعة: لقد أرحناكم من العصابة التي تآمرت على جلالة الملك... ونعلمكم أن خطتنا هي العدل... وبناء البلاد... وتأمين كرامة المواطنين... والقضاء على أعدائنا الخارجين.. يصفق الشعب للوزير.. الذي أصبح رئيس البلاد... وتنتشر صور الوزير في كل مكان... ويعلقها الناس في كل بيت ومدرسة ومؤسسة ودائرة حكومية..، وتعرض في التلفاز، يقول المذيع: أيها الناس.. هذا هو القائد الملهم.. إنه العبقرية الفذة، الشخصية التي لا تنام حرصاً على مصالح الشعب.. هيا اعبدوه.. نعم اعبدوه.. إنّه الزعيم الأوحد.. لقد منت علينا الأقدار به... ونحن نتشرف بالعبودية له..

انتبهوا ستسمعون اليوم قرارات عظيمة لصالح الشعب كله.

يظهر خطيب على منبر برلمان يقول: لقد تفضل القائد العظيم الأوحد... وأعظم رؤساء هذا العصر بإصدار القرارات التالية:

١ – تنشأ في البلاد مؤسسة بناء المشاريع الصناعية والزراعية..

٢ – توزع أرباحها على جميع المواطنين..

٣ – لكل مواطن الحق في بناء أي مشروع يريد...

يتقدم مواطن بطلب يقول فيه: أريد بناء مصنع لاستخراج الأسمنت من الرمال...

يبتسم رئيس الجمهورية ويقول له: حسناً.. حسناً.. أنا موافق.. اذهب إلى وزيري وحدثه عن مشروعاتك..

يدخل المواطن إلى الوزير فيستقبله الوزير استقبالاً رائعا ثم يقول: له: كم ستدفع لسيادة الرئيس..

فيقول: كما تريد... يا ليته يقبل مني ما يريد..

فيقول له: أنت تعلم أن سيادة الرئيس لا يهمه المال.. وهو يريد أن يدفع بالوطن إلى الأمام.. ويجب أن يكون غنيا حتى لا تنشغل أفكاره عن مصالح الدولة.. فما رأيك؟!

فيجيب المواطن: أنا في خدمة الرئيس..

فيقول الوزير: حسناً كم سيكلف مشروعك؟

فيجيبه: خمسة ملايين دينار...

فيقول له: حسناً أعط سيادة الرئيس خمسة ملايين دينار.. وسيوافق لك على المشروع..

المواطن يقول: موافق.. موافق... هذا شيك بخمسة ملايين دينار. ثم يذهب ويبني مشروعاً لإنتاج الإسمنت.. نراه في مجلس إدارة المشروع يقول: كم يكلفنا كيس الإسمنت؟!

فيقول المحاسب: كل عشرة أكياس بدينار...

فيقول: إذن نبيع الكيس بدينار..

يقول المحاسب: لكن الإسمنت الأوروبي ثمنه ربع دينار..

فيهز رأسه ويقول: لقد دفعنا كثيرا.. يجب أن نعوض ما دفعناه..

تنزل أكياس الإسمنت إلى السوق.. فلا يشتريها أحد من المواطنين...

فيذهب صاحب المعمل إلى الوزير، ويقول له: سيدي الوزير... ألا تحمون الصناعة الوطنية؟!.

فيجيبه: نعم... نعم...

نستمع إلى الإذاعة تقول: حرصا على مصنوعاتنا الوطنية، ودعما للمشروعات الرائدة في ميدان العمارة.. فقد قررت الحكومة منع استيراد الأسمنت من الخارج..

نعود إلى مجلس إدارة المصنع لنرى المجلس كله في حالة سرور.. ورئيس المعمل يقهقه... ثم نرى المواطن يشتري كيس الأسمنت وهو يكاد ينفجر من الألم... يبكي ويقول: لن أستطيع بناء بيت لي...

يذهب هذا المسكين إلى قريب له من العلماء تظهر خلفه مكتبة كبيرة يقول له: لقد ارتفع ثمن كيس الإسمنت إلى عشرة أضعافه... ما هذا... لماذا لا تكتب في صحيفتك تحقيقاً عن هذا العمل الشنيع..؟!..

تخرج صباح اليوم التالي صحيفة مكتوبة عليها: نريد من سيادة رئيس الإكوادوريس أن يتدخل لمنع الاستغلال.. لماذا ارتفع ثمن كيس الإسمنت إلى عشرة أضعافه.. هل من مبرر؟!..

نرى الشرطة يقودون هذا الكاتب، ثم يرمونه بالرصاص... وتصادر الحكومة صحيفته التي تخرج في اليوم التالي وعناوينها تقول: تبين بعد التحقيق الدقيق أن الأسمنت الوطني فيه مواد حديثة وغالية وتؤدي إلى زيادة تماسك الجدران.. وتجعل الغرف باردة في الصيف، وساخنة في الشتاء دون مكيفات أو مدافئ، فيا أيها المواطنون.. اشكروا نعمة الرئيس عليكم... واسعدوا بهذا الإسمنت العجيب الرخيص..

ينتشر رجال الشرطة السريون في صفوف الشعب ويقتلون كل من يقول: إن الإسمنت غير صالح، ثم يأمرون الناس أن يخرجوا بمظاهرات ويقدموا عرائض الشكر للرئيس الأوحد الذي مكن المواطنين الشرفاء من اختراع مثل هذا الإسمنت العجيب.

يفر جميع الشرفاء من البلاد.. ويتقرب إلى الرئيس الأوحد جميع اللصوص..

فجأة نرى قاعة مظلمة، وفيها رئيس عصابة يقول: ما رأيكم أن نستولي على السلطة..

يقفز لص ويقول: أنا أريد وزارة الداخلية...

ويصرخ آخر: وأنا وزارة الإعلام.. إن صوتي جهوري.. مخيف.

ويقفز لص لباسه أنيق: أما أنا فاجعلوني وزيراً للخارجية...

ويتجه رئيس العصابة إلى رجل له كرش ثمين يشخر، فيقول له: هل ترضى أن تصبح وزيراً للتموين؟!..

وفجأة يحيط بقصر الرئيس وبالإذاعة مئات المسلحين.. وبعد لحظات يعلق الرئيس السابق بالمشنقة، فينزل الناس صورته ويعلقون صورة رئيس العصابة ومكتوباً تحتها: قاهر الظلم والظالمين.. ابن الشعب العامل.. الرئيس المفتخر حامي البلاد.. وخادم العباد.

بينما تذيع الإذاعات: أبشروا أيها الأحرار.. زال عهد الديكتاتورية الأسود. وجاء عهد الديمقراطية الأبيض.. اسحقوا أتباع ذلك الرئيس.. إنهم خونة.. باعوكم بالمزاد.. واضطهَدوا الأحرار في كل البلاد.. أيها الأحرار أيها المفكرون.. عودوا إلينا.. نحن بحاجة إليكم..

يسرع عشرات العلماء إلى الحدود.. فيستقبلهم رئيس الحدود قائلاً: أهلاً.. أهلاً.. الحكم لكم.. ولم نقم بالانقلاب إلا لصالحكم.. أنتم زبدة الأمة.. تفضلوا.. فيدخلون إلى غرفة ثانية.. يجدون فيها رجلاً معه حبال.. يقول لكل واحد منهم: تفضل ضع هذا الحبل حول عنقك.. فيضعه.. فيعلقه في السقف حتى يموت شنقاً.. تمتلئ الغرفة بالمشنوقين..، والرجل يصرخ: يحيا عصر الحرية والديمقراطية..

ويتابع المذيع عودوا إلى بلادكم أيها الأحرار.. لقد استلم زملاؤكم الذين عادوا مناصب عالية.. وعالية جداً تقديراً لعلمهم وخبرتهم..

وفجأة نرى المذيع يختبئ تحت الطاولة، ويقول: أيها المواطنون.. إلى الدفاع.. إلى الدفاع.. العدو على الأبواب.. ورئيس العصابة يصرخ: أيها الشرفاء.. العدو يهاجمنا.. هبوا لحماية الأوطان.. والناس كلهم قابعون في بيوتهم لا يتحركون..

يقف بعض الأحرار يصرخون: نريد الحرية.. نريد رفع المفاسد.. عودوا إلى الإسلام.. طبقوا الأخلاق..، فيهجم عليهم رجال الشرطة السرية ويقولون لهم: نحكم عليكم بالموت لأنكم خونة.. هيا إلى السجون.. وهناك يقتلون.. ويقتل أبناؤهم وزوجاتهم.. وآباؤهم وأجدادهم وجميع أقربائهم..

فجأة رن في غرفة المذيع دامر هاتف: رفع السماعة فظهرت على الشاشة صورة رجل حكيم يقول: أرجوكم أوقفوا هذا العرض إنه يفسد أخلاقنا.. ويسيء إلى أمتنا..

يجيبه دامر: لقد انتهى العرض فعلاً..، ثم يقول: أيها المؤمنون، هذه

صفات عهود الهمجية الدكتاتورية.. تقتل الشعوب.. وتفني الموارد، وتذبح الكرامات والأخلاق.. ويصبح الملوك فيها أرباباً.. فما أظلم أطوار الهمجية التي عاشتها الإنسانية وما أبشعها من حياة كانت تعيشها شعوب العالم القديم..

والآن سنعرض عليكم فيلماً آخر.. عن جانب آخر من جوانب الهمجية السابقة..

يرن الهاتف ويظهر رجل كهل على الشاشة يقول: إن المجلس الأعلى لحماية نفسيات المواطنين، يطلب عدم عرض هذه الأفلام واحداً إثر واحد.. لما قد ينتج عن ذلك من أمراض نفسية لدى المواطنين نتيجة رؤيتهم لهذه الفظائع المذهلة التي حفلت بها عهود الحضارات الهمجية المرعبة.. لذلك نطلب ألا يبدأ العرض الثاني إلا بعد تحليل العرض الأول.. أو بعد مضي يوم أو يومين على الأقل..

المذيع دامر يجيب: هذا صحيح.. سنؤجل عرض الفيلم الثاني عن همجية العصور السابقة إلى ما بعد يومين، ونرجو من الإخوة أن يناقشوا العرض السابق..

يرن الهاتف في غرفة دامر: يقول المواطن: هل تصدق أنني في عهد الخلافة الراشدة الذي نعيش فيه قد أصابني ضرر يشبه ما كان يحدث في العهود الديكتاتورية الهمجية..، فوجئ الناس كلهم بهذا الكلام، وقالوا: عجيب.. لا نصدق.. لا نصدق..، وكذلك قال المذيع دامر..، لكن المواطن وكان شاباً عمره خمس وعشرون سنة، تابع قائلاً: اسمي سهيل، إنك أيها

المذيع تحاول أن تمنعني من عرض المصيبة الفظيعة التي نزلت بي..

جرس الهاتف يرن وتظهر صورة رجل عمره خمسون سنة يقول: الأخ دامر.. دع الأخ سهيل يقول ما يريد..، أنا الدكتور عمرون رئيس "مجلس إزالة المظالم" سأصل إلى دائرة الإعلام فوراً..

ابتسم الناس كلهم.. لكنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبر أن يعرفوا خبر الشاب سهيل.

الرمّانة العجيبة؟!

الدكتور عمرون يرفع السماعة فترى مكتباً فيه شاب نحيف له نظارات، يقول له: أخي حامد، أرجو أن تتصل بجميع أعضاء اللجنة العليا لمجلس إزالة المظالم ليكونوا معنا يسمعون كل كلمة، ويدونون ملاحظاتهم.. فقد أضطر إلى الاستفهام منهم عن بعض القضايا.. أو إجراء بعض الاتصالات المتعلقة بمشكلة الأخ سهيل.. أنا ذاهب الآن فوراً إلى إدارة الإعلام..

الدكتور عمرون يركب سيارته الجديدة ويهبط على سقف هيئة التلفاز.. ثم يسرع.. حتى يدخل قاعة الإذاعة.. فيجد هناك الشاب سهيلاً، يتبادلان السلام ثم يجلسان معاً ويظهران في الشاشة معاً متقابلين.

يتكلم الدكتور عمرون قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله.. أيها الأخوة (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) إن ربنا ما أرسل إلينا شرعه إلا ليبعد عنا المظالم والتعاسات..، وكما حرّم الله الشرك.. كذلك حرّم كل ظلم.. وما أتعسنا إذا وقعت في ظل دولتنا الراشدة التي تسير على منهاج النبوة أية حادثة ظلم مهما

صغرت..، أرجو أن يشرح لنا الأخ سهيل ما وقع له.. بدقة وصدق.. حتى نرى ما يجب أن نفعل.. تفضل يا أخي سهيل.. تفضل.

أطرق سهيل رأسه ثم رفعه وقال: إن من أفظع صفات عهود الديكتاتورية الهمجية الضالة هي وضع الناس في غير أماكنهم.. وتسليم المناصب إلى المحاسيب حتى يخدموا من عينوهم.. فما حاجتنا نحن إلى مثل هذا الأسلوب المدمر الذي يقتل كل خير في الأمة..

راح كل من ينظر إلى التلفاز يهمس: أعوذ بالله.. أعوذ بالله..

تابع سهيل: لقد تخرجت مهندساً زراعياً منذ سنتين، وعملت في مخابر إكثار الرمان سنتين متدرباً بناء على رغبتي الخاصة..، وقد استطعت أن أحصل على خبرة ممتازة في ميدان إكثار الرمان حجماً.. وكمية.. وسأعرض عليكم إن سمحتم نتائج أعمالي.. بعد هذه الجلسة.. لكنني فوجئت أن مدير إدارة الزراعة قد أمر أن أعين مديراً لبساتين الرمان وانتزعني من مخابري.. وعيّن بدلاً مني في مخابر الرمان مهندساً آخر..، ورغم أن لدي مخبراً في عملي الجديد يماثل المخبر الذي كنت أعمل فيه إلا أن أعمالي في الإشراف على بساتين الرمان لا تمكنني من متابعة أبحاثي.. أليس في هذه عمل ديكتاتوري؟! وفوق ذلك علمت أن من عينه مدير الزراعة في المخبر مكاني هو قريبه.. أسألكم الإنصاف.. قبل أن يحل بنا غضب الله سبحانه.. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من ولى رجلاً على جماعة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**».. فهل تريدون أن تشيع الخيانة في دولة الخلافة الراشدة التي جعلها الله سبحانه دولته ودولة دينه.. ونموذجاً لتطبيق إسلامه؟..

همس الناس جميعاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

راحت الهواتف ترن في غرفة الإذاعة وكل أصحابها كانوا يقولون: نطلب التحقيق.. نطلب التحقيق..

توجه الدكتور عمرون إلى آلة هاتف وضغط على مجموعة أزرار ثم رفع السماعة، فرأى الجميع رجلاً قوي البنية، كان يفكر بألم.. قال له الدكتور عمرون رئيس مجلس إزالة المظالم: السلام عليكم يا أخي..

قاطعه الآخر وهو يقول: أنا هو الدكتور سعدون مدير الزراعة. سمعت شكوى الأخ المهندس سهيل.. وسأجيبكم من هنا.. وإن شئتم كنت عندكم بعد خمس دقائق.

أجابه الدكتور عمرون: لو تفضلت وأتيت.. فأجابه حسناً.. بعد خمس دقائق إن شاء الله سأكون عندكم..

توجه الدكتور عمرون إلى المهندس سهيل وقال له: إن استطعت أن تتكلم لنا عن مشروع إنماء الرمان.. تفضل..

ابتسم المهندس سهيل وقال: قرأت منذ طفولتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرمان الذي يقول فيه: «**لا تقوم الساعة حتى يأكل من الرمانة الرهط أو القبيلة، ويستظلون بقلفها**». فقلت: إن أقل القبائل يبلغ عدد أفرادها مائة إنسان.. فوقفت مع عشرين من إخواني.. ضمن دائرة.. فبلغ قطرها ثلاثة أمتار، فقلت: إن الرمان الذي تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يبلغ قطر كل واحدة منها ثلاثة أمتار.. فأحببت أن أجري بعض التجارب على نمو الرمان.. وقوانينه.. لعلي أكتشف سر النمو فأقوم بإنتاج الرمان الذي تحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنعم الأمة

كلها بهذه الفاكهة الرائعة، وبذلك الحجم الضخم..

دخل الدكتور سعدون قاعة الإذاعة، فرحب به الدكتور عمرون والمهندس سهيل.. كان يحمل معه حقيبة.. وراح الناس يحملقون به وبحقيبته..

همس الدكتور سعدون: يبدو أنني قد أصبحت متهماً.. فأسرع الدكتور عمرون وقال: لا.. لا.. يا أخي.. أنت تمارس عملك بموجب الأمانة الموكلة إليك.. ولم تعهد الدولة منك إلا كل إخلاص.. فمشاريع الزراعة التي أشرفت عليها هي التي خلصت أمة الأرض كلها من الجوع الذي كانت تعانيه الحضارات الهمجية الماضية المجرمة.. لكننا نريد أن نعلم منك حقيقة ما يشكو منه الأخ سهيل.. فأنت تعلم أن خلافتنا الراشدة، لا يمكن أن تقبل ظلماً على أرضها مهما كان صغيراً.. فهل تتفضل يا أخي بالحديث؟!..

ابتسم الدكتور سعدون وقال: إنني أرتجف يا أخي خوفاً من الظلم.. لأن الظلم ظلمات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. أريد أن أسأل المهندس سهيل عدة أسئلة..

ابتسم سهيل وقال: تفضل يا أخي أنا تحت أمرك..

قال: هل هناك طارئ طرأ على بساتين الرمان غير عادي؟

فأجاب المهندس سهيل: نعم.. نعم.. لقد أصيبت بعض أشجار الرمان بوباء عجيب، وكدنا نفقد الموسم كله لولا أن بعض الخطوات الحازمة التي اتخذتها مديرية الزراعة قد حالت دون استفحال الوباء.. وتمكنا من قطف الثمار كلها تقريباً..

ابتسم الدكتور عمرون، وابتسم الناس كلهم..

سأله الدكتور سعدون سؤالاً آخر: ماذا قلت لك عندما نقلتك إلى إدارة بساتين الرمان؟

أجاب سهيل، قلت لي: لقد اكتشفت أن الجامعة قد كتبت لك أمام مادة المؤهلات الإدارية في قائمة علاماتك.. أنك ناجح إدارياً.. وتتمتع بإمكانية ضخمة لإدارة مجموعات هائلة من العمال بنجاح.. ويمكن الاعتماد عليك في الأزمات.. لذلك فإنني في أزمة، فأرجو أن تعيننا في إنقاذ موسم الرمان..

ابتسم الدكتور عمرون.. وابتسم الناس كلهم مرة أخرى..

التفت الدكتور سعدون إلى الناس وقال: فوجئت بوجود مرض عجيب في بساتين الرمان.. حين اتصل بي رئيس المراقبين وقال لي إنهم قد عثروا على شجرة رمان قد تحجرت ثمارها.. ووقف نموها.. فأسرعت فوجدت الشجرة عجيبة حقاً.. فاستنفرت كامل عمالنا.. ليقوموا بجولات يومية على كل شجرة رمان.. فنقلوا لي في اليوم التالي وجود إصابات في أشجار قريبة.. وبعد التحري تبين لنا أن عاملاً قد قطف رمانة مريضة.. ثم غسل يديه في مياه النهر، فانتقل الوباء إلى جميع الأشجار الموجودة على ضفاف النهر.. فعرفت أن هذا المرض يمكن أن ينتقل بالعدوى.. فأمرت بعض المهندسين أن يأتوا بعمال البلاد كلهم إلى دورات في مختلف المدن ليتحدثوا لهم عن الوباء الجديد.. خشيت أن ينتقل الوباء إلى الشجر كله.. ففكرت أن مرضاً مثل هذا يحتاج إلى إدارة حازمة جداً... وكان مدير البساتين قد توفي رحمه الله.. فرحت أستعرض جميع المهندسين الموجودين لدينا فوجدت أن معظمهم لا يتمتعون بكفاءات إدارية.. ثم ذكرت الأخ سهيلاً الذي لفتت علاماته انتباهي حين استلم عمله.. وبإمكانياته الإدارية العظيمة.. فقلت: أعينه حتى ننقذ

موسم الرمان.. وهذا كما ترون هو عمل صحيح فقد وضع في المكان المناسب تماماً.. كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم.. أما قضية إقصائه عن مديرية أبحاث الرمان فإنني لم أقصه.. لكنني انتدبته مؤقتاً إلى عمله وقد سجلت ذلك في قرار نقله إلى مديرية بساتين الرمان.. وهذا هو القرار: أخرج من محفظته قراراً.. فقرأ الدكتور عمرون فيه: ينقل الأخ المهندس سهيل من مديرية بساتين الرمان مؤقتاً ريثما ينتهي خطر الوباء الجديد..

تابع الدكتور سعدون: تبقى نقطة أخيرة.. إن الذي استلم العمل في مخابر الرمان هو قريبي فعلاً.. لكن أتدرون لماذا سلمته ذلك العمل؟.. إنه المهندس جهاد، واختصاصه في أثر بعض المواد على تكاثر الثمار ونموها.. قلت في نفسي.. ثم توقف وقال: أرجو من الدكتور سعدون أن يتصل بالمهندس جهاد لأسأله بعض الأسئلة، إن رأى ذلك مناسباً.

ضغط الدكتور سعدون على مجموعة أزرار.. فظهر على الشاشة المهندس جهاد، قال: أنا هو جهاد.. أقول: لقد رأيت ما يجري الآن في التلفاز.. وأبين لكم أن الدكتور سعدون قد قال لي قبل نقلي إلى مخابر الرمان إنه يعتقد أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرمان يتعلق بأساليب إكثاره وإنماء حجمه.. وهذا يتعلق باختصاصي في أثر بعض المواد على نمو النباتات.. وقال لي: إن كنت ترى من المناسب أن تجري بعض التجارب في فترة غياب المهندس سهيل في مخبر الرمان فافعل.. وأنا أعمل هناك تطوعاً.. إذ إن لي مزرعة تكفيني رزقي والحمد لله.. لكن النتائج التي وصلنا إليها عجيبة فعلاً.. ونحن نكتم هذه النتائج مبتعدين عن الدعايات التي تتميز بها المجتمعات الجاهلية الهمجية.. حتى نصل إلى نتائج مؤكدة يمكن تعميمها..

سأل الدكتور عمرون: وما هي النتائج التي حصلتم عليها؟!..

أجاب الدكتور سعدون: لقد وصلنا إلى سر عملية مضاعفة النمو في شجرة الرمان.. جذعاً.. وأغصاناً.. وأوراقاً.. وثماراً..

ثم فتح الحقيبة التي أحضرها معه وأخرج كيساً من البلاستيك.. فرأى الناس فيه كتلة شفافة حمراء كالدم.. حجمها كحجم البيضة.. قال أتدرون ما هذه؟!..

صدر عن الدكتور عمرون صفير استغراب وهمس: حبة رمان!! إن هذا عجيب حقاً!!

ابتسم الدكتور سعدون وهمس: فعلاً إنها حبة رمان.. أتدرون كم حجم الرمانة التي استطاع المهندس جهاد أن ينتجها من شجر عتيق.. لقد استطاع إنتاج رمانتين في شجرة واحدة عتيقة بلغ قطر الرمانة منها متراً ونصف المتر.. وهذه حبة من حبات إحدى الرمانتين.. وقد احتفظنا بالرمانة الأخرى سليمة دون أن نكسرها ليطلع عليها الباحثون.. وإن شئتم أريتكم إياها..

همس عمرون: إن شئت ذلك..

ضغط الدكتور سعدون على عدة أزرار في الهاتف ثم رفع السماعة فظهر المهندس جهاد الذي قال: لِتَسِرْ عدسة التصوير معي.. راحت عدسة التصوير تتابع المهندس جهاداً وما زال يقترب من شجرة الرمان حتى رأى الجميع رمانة ضخمة على أرض البستان لا تزال معلقة بأغصانها.. لكن ثقلها أجبر الشجرة كلها على الانحناء وقام المهندس جهاد بربط أغصان الشجرة بأسلوب معين حتى يضمن ألا تنكسر.

دهش الناس كلهم.. بينما ابتسم المهندس جهاد وهمس: وعندنا تجارب

جديدة الآن لإنتاج أشجار رمان ضخمة جداً تستطيع على نفس المبدأ أن تنمو كلها بالمؤثرات الكيمياوية كل ذلك لإنتاج ثمار الرمان التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التفت الدكتور سعدون وقال: جزاك الله خيراً يا جهاد.. فعادت الشاشة إلى اجتماع الثلاثة..

تكلم الدكتور عمرون "رئيس مجلس إزالة المظالم" وقال: هل لدى المهندس سهيل ما يقوله؟..

أجاب المهندس سهيل: أعلن أنني قد تسرعت في اتهام أخي ورئيسي الدكتور سعدون.. وأحيي أخي المهندس جهاداً الذي نجح فيما فشلت فيه.. وأستغفر الله مما أسأت به للدكتور سعدون والمهندس جهاد.. وأرجو أن يسامحاني..

التفت الدكتور عمرون إلى الدكتور سعدون والمهندس جهاد.. وأرجو أن يسامحاني..

التفت الدكتور عمرون إلى الدكتور سعدون وقال له: إن سامحت الأخ سهيلاً فهذا لك، وإن شئت أن يتخذ مجلس إدارة المظالم إجراءاته فعلنا.. لأنه قد ظلمك.. ويحق لك أن تطالب بحقك..

ابتسم الدكتور سعدون وهمس: أما أنا فلا يجوز لي أن لا أسامح أخي المهندس سهيلاً، لكنني أرجو أن يدخل فوراً دورة في أحد معاهد التربية ليحصل على خبرة في أدب العلاقات ما بين القادة والمعاونين.. حتى لا يقع في خطأ مماثل في المستقبل..

ابتسم الأخ سهيل وهمس: أنا شاكر لكم هذا الاقتراح.. وأرجو أن ينفذ

الدكتور عمرون اقتراح أخي ورئيسي الدكتور سعدون.

رن جرس الهاتف فرفعه المذيع دامر وقال: مواطن يسأل: متى ستتم عمليات إنتاج الرمان بحجومه الكبيرة..

فأجاب الدكتور سعدون: أعتقد أن ذلك يحتاج إلى خمس سنين.. أو سبعٍ.. وقد تستمر إلى عشر سنين؛ لأننا لن ندفع الرمان الجديد للبيع ولن نعممه إلا بعد أن ندرس آثاره من جميع النواحي على المزروعات والأشجار الأخرى.. وكميات المياه المتوفرة.. ونتائجه السلبية في الإنسان والحيوان.. وتكاليفه. وهذا يحتاج إلى فترة ما بين الخمس والعشر، سنوات..

هاتف يرن.. والمذيع دامر يرفع السماعة.. ويظهر مدير رعاية صحة الأطفال والأمهات فيقول: لقد بلغ الوقت التاسعة.. وأصبح من الضار الاستمرار في السهرة ليفيق الناس على صلاة الصبح.. وحفظاً على صحة الأطفال والأمهات.. نرجو أن تعرض الأمور الأخرى غداً.. فغداً يوم الجمعة.. يمكن أن تعرضوا فيه جميع ما عندكم..

مدير الإذاعة يظهر مقترباً.. يقول: نستودعكم الله أيها السادة ونخبركم أن برنامج الغد سيكون عرضاً لتسعة أفلام عن بعض جوانب الحضارات الهمجية الماضية وكلها هامة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لم يبق إنسان في أنحاء الخلافة الراشدة إلا وأصيب بالدهشة مما كانت عليه حال البشرية في تلك الديكتاتوريات الهمجية المجرمة.. وكم حمدوا الله أن خلقهم في ظل الخلافة الراشدة التي تملأ الدنيا عدلاً وخيراً.. وراحوا ينتظرون بشوق شديد الأفلام الجديدة التي ستعرض عليهم بعضاً من جوانب تلك الحضارات الهمجية المحزنة.

لص...!!

لم تستطع أم كريم أن تنام تلك الليلة، وراحت تصلي لله شكراً مع زوجها وأولادها أن جعلهم مؤمنين مسلمين يعيشون في ظل الخلافة الراشدة.. ناموا أخيراً فرأت حلماً عجيباً.. رأت أنها تقف مع زوجها أمام القاضي.. وأن بيتهم يدخله أناس كثيرون ويخرجون منه.. ورأت أولادها يبكون.. ثم رأت نفسها في بيتها.. أحست بحركة خلفها فالتفتت فرأت رجلاً وجهه ينضح بالحقد.. يحمل في يده خنجراً.. والوقت ليلاً.. يقترب منها.. فأسرعت تريد أن تأتي بمسدسها.. لكنها رأت إلى جانبها مسدس الإنذار فوجهته إلى الرجل فأضاءت الدنيا.. واستيقظت هي.. قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ثم سمعت المؤذن ينادي لصلاة الصبح، فأيقظت زوجها وأولادها، فراحوا إلى المسجد وبقيت هي مع طفلها وطفلتها، توضأت ولبست ثياب صلاتها.. قالت في نفسها: لقد ذكرني هذا الحلم بمسدس الإنذار.. أسرعت إلى خزانتها.. فوجدت المسدس الحربي، مع مسدس الإنذار في مكان واحد. قالت في نفسها: لم أستعمل هذا المسدس منذ عشر سنين.. منذ استلمته..

سمعت الباب يغلق.. عجبت لذلك.. أمسكت مسدس الإنذار بيدها اليمنى والمسدس الحربي بيدها اليسرى، بكى طفلاها.. فلم تلتفت إليهما.. سمعت الباب يفتح من جديد.. فاقتربت من الممر الذي يوصل إلى الباب الخارجي.. فسمعت حركة خلفها.. التفتت فرأت رجلاً ملثماً يقترب منها وبيده خنجر.

وجهت إليه مسدسها وقالت له: إياك أن تقترب سأقتلك.. لكنه لم يسمع لها.. فوجهت إليه مسدس الإنذار وضغطت على الزناد بعنف.. فجأة رأتْ نوراً يملأ الدنيا.. ويستمر للحظات، ثم يغيب ورأت وجه الرجل قد غطي بطلاء عجيب خرج من مسدس الإنذار.. صرخ.. ثم حاول أن يفر.. لكنه صار يصدم بالجدران لا يرى طريقه.. ثم خمدت حركته ووقع.. رأت باب البيت يكسر ويدخل عشرة من الشرطة معاً.. صاح أحدهم: لا تخافي.. لقد وصلتنا إشارة المسدس.. فأتيناك فوراً.. عجبت وقالت: لا أدري من أين أتى هذا الرجل!! قال شرطي: إنه لص.. لا شك.. منذ عشر سنين لم تحدث في دولة الخلافة الراشدة حادثة سرقة واحدة..

عاد أبو كريم من المسجد.. وعجب لما يجري في بيته.. فلما عرف ما جرى قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

حضر القاضي ومعه هيئة تتبع الآثار فوراً، قال: أبو كريم، يمكنك أن تنتقل فوراً إلى بيت بحجم بيتك.. فيه كل ما تحتاج أنت وعائلتك حتى تنتهي تحرياتنا.. فقد نحتاج إلى البقاء هنا يوماً كاملاً.. ويمكنك الإقامة في ذلك البيت إلى الوقت الذي تريد.. نرجوك وافق لنستطيع الاستفادة من هذه الحادثة الفريدة.. قد تحول هذا البيت إلى مدرسة ولفترة طويلة حتى يأتي خبراء الشرطة والأمن، والإنذار، والآثار من جميع أنحاء دولتنا الراشدة.. لأن حوادث السرقة قد انعدمت.. وهذه حادثة فريدة نريد أن نستفيد منها إلى آخر ما نستطيع..

همس أبو كريم: الرأي لكم يا سيدي.. وأنا سعيد بما تقول..

فوراً كتب القاضي "عماد الخير" أمراً بتسليمه بيتاً أفضل من بيته، مفروشاً

بأثاث جديد يساوي فرشه. ودفع له ثمن جميع ما في البيت من مواد أخرى، فغادر بيته إلى البيت الجديد الذي وجده أفضل من بيته، وقريباً من بيته، بكى طفل من أطفاله يريد لعبه، فاشترى له لعباً مماثلة..

صور الخبراء بيت أبي كريم القديم قطعة قطعة.. ثم صوروا اللص ملقى على الأرض.. وأخذوا مسدس الإنذار من أم كريم..

ثم ابتدأ الخبراء يصورون الإيوان بآلات خاصة.. تكشف صور اللص.. عندما دخل البيت، ثم خرجوا من البيت، واستمروا يصورون حتى وصلوا إلى بيت طرقوا بابه.. فأمسك الشرطة فوراً صاحبه.. ثم لا زالوا يصورون حتى وصلوا إلى قبو دخلوه فوجدوا كيساً فيه أمتعة مختلفة.. صوره الشرطة.. وحمله بعضهم.. وعادوا مع الرجل إلى بيت أبي كريم..

وقف القاضي أمام اللص المغمى عليه.. وأشار إلى طبيب معه أن يتقدم.. فحقن الطبيب اللص.. فعاد اللص إلى وعيه. كان المصورون يصورون كل حركة من حركاته دون أن يدري.. فلما فتح عينيه ورأى القاضي والشرطة.. دهش.. وقال: من أتى بي إلى هنا؟! أنا مظلوم؟! فابتسم الجميع.. وقاده الشرطة إلى سيارتهم..

وبعد قليل كان اللصان والأمتعة وجميع الأدوات اللازمة.. ومسدس الإنذار.. في غرفة القاضي.

قال القاضي للصين: لماذا كنتما تحاولان السرقة.. أنكر اللصان.. فابتسم القاضي.. وعرض عليهما فيلماً يصورهما منذ خروجهما من بيتهما.. حتى لحظة القبض عليهما.. فانهارا.. واعترفا.. وهل القاضي بحاجة إلى اعترافهما؟!..

كان الناس في صباح الجمعة في دولة الخلافة الراشدة ينتظرون أن تعرض عليهم أفلام الحضارات الهمجية الماضية.. لكنهم فوجئوا بالقاضي يذيع عليهم بيانا: قال: لشدة أسفنا.. وقعت في بيت أبي كريم حادثة سرقة فريدة.. وستذيع وسائل الإعلام أخبار هذه الحادثة حتى إصدار الحكم.. ونظن أن ذلك لن يستمر أكثر من ساعة...

ضجت البلاد كلها بهذا الخبر الخطير... سرقة في ظل الخلافة الراشدة..؟!...

قال القاضي: سنعرض أولاً فيلماً عن اللصين منذ بدآ التفكير في السرقة.. حتى وقعا في أيدي "خدام الشعب" رجال الأمن. أما من أين حصلنا على هذا الفيلم الناطق؛ فإن الإخوة المواطنين يعلمون أن الصور والحركات والأصوات تبقى معلقة في الفضاء... وقد قام الخبراء بتسجيل جميع حركات وصور وأصوات اللصين بالآلة الخاصة التي تكشف الصور الماضية، وسيبدأ الآن عرض الفيلم.. فنرجو أن يستمتع به المواطنون..

ظهر "عدروس" وهو كهل بغيض طويل الوجه يسير في شارع حتى وقف أمام بيت رن جرسه، فخرج إليه صاحب البيت "شروان" استقبله، ودخلا البيت معا..

قال "عدروس" بعد أن جلسا..: أشعر بضيق شديد..

أجابه "شروان" وأنا أيضا..

قال "عدروس": أشعر أن الدنيا كلها ضدي... وأتمنى أن أراها مدمرة..

أجابه "شروان": العجيب أن لي شعورك نفسه.. فماذا ترى أن نفعل؟!.

أجابه: إننا لا نستطيع أن نحول الدنيا كلها التي دخلت في ظل الخلافة

الراشدة إلى حالة خراب فورا.. لكن أرى أن نبدأ في عملية الهدم قدر طاقتنا.. كما فعل أجدادنا بالخلافة الراشدة الأولى.. راحوا يهدمونها بالإبرة.. حتى قضوا عليها.

قال "شروان": لكن أدوات العلم الحديث قد لا تمكننا من فعل ذلك.. فالناس في ظل هذه الخلافة الراشدة الجديدة التي عمت الأرض كلهم واعون.. والدولة قوية جداً.. والناس يعيشون في ظل عدل لا نظير له... فكيف ترى..؟!..

أجاب "عدروس": هذا هو الذي يجعلني تعيسا.. لكن يجب أن نتحرك بذكاء حتى نهدم هذه الأمة القوية، فإذا قمنا بعمل مهما كان صغيرا.. فإننا سوف نعطي من هم من أمثالنا قدوة ليتصرفوا كما نتصرف... فيذهب عنهم اليأس.. ويعملون معنا لنصل ولو بعد مائة ألف عام على هدم هذه الخلافة التي عمت الأرض.. فما رأيك؟!..

أجابه "شروان": أنا موافق بشرط أن ندرس ماذا نعمل.. حتى نحقق ما نريده..

قال "عدروس": إن الناس يعيشون في ظل أمن عظيم.. لذلك فإن الكثير منهم لم يعودوا يهتمون بحراسة ممتلكاتهم.. وإغلاق دورهم.. والحرص على أرزاقهم.. لا يتصورون أن أحدا ممكن أن يسرقهم.. فما رأيك أن نستفيد من هذا الواقع لنقوم بعمليات سرقة.. فإذا عمت السرقات نكون قد هدمنا أركان مجتمع الخلافة الراشدة كله؟!..

أجاب "شروان": هذا جميل.. لكن ألا تعتقد معي أن الدولة لديها من الوسائل ما يكفي لكشف أعمالنا؟!..

أجاب "عدروس": هذا صحيح.. لكن أرى أن لا نحاول أن نصطدم مع من نسرقهم.. حتى لا نعرف.. ونختار من الأوقات ما يناسب، نختار وقتا للسرقة عند خروج الناس إلى صلاة الفجر.. فالرجال يذهبون إلى المساجد.. والنساء يكن نائمات.. ولن نسرق أشياء هامة.. فليس المهم أن نغنى، لكن المهم أن يصاب هذا المجتمع بالضعف.. فما رأيك؟!.

ابتسم "عدروس" وأجاب: أنا موافق.. فتعال نفكر.. من نسرق؟!.. أنسرق حانوتاً.. أم بيتاً؟!..

أجاب "شروان": لا.. لا.. نسرق بيتاً بعيداً عن الأنظار..

قاطعه "عدروس": وليس فيه إلا رجل وامرأة..؟.

"شروان": لو كان فيه أولاد صغار لكان خيراً لنا..

همس "عدروس": وفي أي وقت ننفذ السرقة؟!!

أجاب "شروان": أرى أن يكون ذلك بعد صلاة الصبح بقليل.. لأن الشباب والشيوخ يذهبون إلى المسجد للصلاة ويتركون الأبواب غير مغلقة غالبا.. والنساء في البيوت يكن نائمات.. فإذا شعرن بنا ظنن أن أولادهن وأزواجهن قد عادوا فنستطيع أن نخدعهن.. والنساء كما تعلم من المستبعد أن يستعملن مسدسات الإنذار.. التي وزعتها الدولة على كل بيت..

ابتسما بمكر شديد.. واتفقا أن يبحثا في الحي التالي لحيهم عن بيت فيه المواصفات السابقة كلها فوجدا أن بيت أبي كريم هو أفضل البيوت لتنفيذ خطتهما.. لأنه بعيد عن الأنظار، ولأن الولد كريم غالبا ما يترك الباب غير مغلق عند صلاة الصبح.. وعرفا الوقت الذي يخرج فيه أبو كريم وابنه للصلاة.. ولاحظا أن البيت يبقى هادئا بعد ذهابهما.. وجرب "عدروس" فدخل

دهليز البيت وخرج منه دون أن يراه أحد.. فاتفقا أن يلتقيا في اليوم التالي.. "عدروس" يخرج الأمتعة القريبة الموضوعة في الدهليز.. ويسرع بها إلى "شروان" ليخفيها في بيته.. ويلحقه بعد قليل "عدروس" مع بعض الأمتعة المسروقة الأخرى ويتلفانها فورا بعد وصولهما إلى منزل "شروان".

أحضر "عدروس" خنجراً.. استعداداً لما قد يحدث من مفاجآت.. واتفق مع "شروان" أن يقاتلا كل من يكشف أمرهما حتى يموتا..

عند أذان الصبح يطوفان حول بيت أبي كريم، فلما خرج مع ابنه الذي ترك الباب غير مغلق، تسلل "شروان" وجمع بعض الأمتعة بهدوء.. بينما كان "عدروس" يراقب الطريق.. خرج "شروان" وأسرع بالأمتعة المسروقة بينما دخل "عدروس" ليحمل أمتعة أخرى.. لكنه اصطدم بالباب فانصفق الباب وأحدث صوتاً.. وأصبح هو داخل الدار.. شعر بمن يمشي مقترباً.. فاختبأ خلف ستارة قريبة.. فمرت به أم كريم دون أن تراه.. رأى أنها تحمل مسدسين.. فخفق قلبه من الرعب، سل خنجره.. واقترب منها بهدوء يريد قتلها.. لكنها شعرت به.. فالتفتت إليه.. وصرخت به ليستسلم.. لكنه هجم عليها.. فأطلقت عليه مسدس الإنذار.. فخرج من المسدس رشاش على شكل دائرة قطرها متران.. وعم النور الدهليز.. ثم ذهب النور.. وبعدها وقع "عدروس" على الأرض فاقدا وعيه بتأثير المواد التي قذفها مسدس الإنذار وحدث بعد ذلك ما عرفناه.

وقف "عدروس وشروان" أمام القاضي، فسألهما: هل تعترفان بكل ما رأيتماه وسمعتماه..؟

فأطرقا وأجابا: هل نستطيع الإنكار..؟!..

سألهما القاضي: لماذا تحقدان على أمة الخلافة الراشدة وتريدان هدمها؟!.. فلم يجيبا..

رن جرس الهاتف في مكتب القاضي، فرفع السماعة فظهرت على شاشة الهاتف صورة رئيس مجلس إزالة المظالم، قال: سيد القاضي.. هل دفعهما إلى السرقة ومحاولة هدم الخلافة الراشدة ظلم وقع عليهما من أحد؟!.. أو شعرا بالذل في ظل هذه الخلافة الراشدة..؟! فلما سألهما القاضي لم يجيبا...

فعاد رئيس مجلس إزالة المظالم وقال: أرى يا سيدي القاضي أن أجري تحقيقاً دقيقاً في أوضاعهما المادية والنفسية لمعرفة ما إذا كان قد نزل بهما ظلم من أي نوع دفعهما إلى الحقد على مجتمع الخلافة الراشدة ومحاولة تهديمه.. وإن لم يتكلما هما فأرجو أن تشكل لجنة فيها ممثل عن مجلس إزالة المظالم للتحقيق في هذا الأمر.. ربما يكونان خائفين، يجب أن لا ينزل بهما أي ظلم، ولا يصدر عليهما أي حكم إلا بعد إصدار اللجنة السابقة تقريرها الذي ستكتبه بعد التحقيق الدقيق..

أصدر القاضي قرارا بتشكيل لجنة من معاونيه، ورجل من مجلس إزالة المظالم، ورئيس المحلة التي يسكنها اللصان.. وطلب إليهما أن تقدم تقريرها بعد يومين على الأكثر...

غادر القاضي القاعة بعد أن أخذ "خدام الأمة" السارقين إلى السجن.

ظهر المذيع وقال: سنعرض عليكم الآن فيلما يصور بعض ما كانت تعانيه حضارات الهمج التي سبقت الخلافة الراشدة.. سوف نرى فيلما يصور حالة الأمن في ظل الحضارات الهمجية..

يبدأ الفيلم بطلقات رشاش، وانفجار قنبلة.. وركض خيول، ثم انفجار قنبلة

ذرية...

الأمن..

يقول المذيع، الآن نبدأ بحضارات ما قبل التاريخ.. انتبهوا: يرى الناس إنساناً عارياً تقريباً.. يقترب وبيده خنجر من صوان من بيت جاره المبني من الطين والخشب.. فيتسلق الجدار.. ثم ينزل إلى باحة الدار، فيأخذ جرة من فخار مملوءة بالزيت، ويسرع خارجا بها من حيث أتى...

ونرى رجلا آخر يتسلق جداراً آخر.. وينزل إلى باحة دار فيجد جرة من فخار مملوءة بالحنطة، فيحملها، ويعود من حيث أتى، يدخل حامل جرة الزيت إلى بيته، فيجد جرة القمح مفقودة، ويدخل حامل جرة القمح إلى بيته فيجد جرة الزيت مفقودة.. ويقول كل واحد منهما.. واحدة بواحدة.. يخرج من سرق جرة الزيت إلى السوق ليبيع نصف زيته، ويشتري قمحا، ويخرج صاحب القمح إلى السوق ليبيع نصف قمحه، ويشتري زيتا.. فيتصادفان في السوق.. ويقول كل واحد منهما لصاحبه: هذه جرتي.. هذه جرتي.. وأنت لص.. وأخيرا يتفقان أن يعطي كل واحد منهما نصف ما في جرته لصاحبه.. ويعود كل منهما بنصف جرة قمح، ونصف جرة زيت..

يقول المذيع: والآن سنرى عصور الهمجية القبلية:

نرى عشرين فارسا ملثما.. يطيرون في الصحراء.. ومن بعيد نرى خياما.. لا يزالون يقتربون منها حتى يقتحموها فيقتلون الرجال، ويأسرون النساء والأطفال.. ويأخذون الأرزاق، ثم يشعلون النيران في الخيام.. وينطلقون غانمين وهم ينشدون أناشيد الفرحة ويلعبون بالسيوف. فجأة يظهر لهم من خلف تل اقتربوا منه مائة ملثم.. يقاتلونهم.. حتى يهزموهم.. فيفرون تاركين ما

غنموه.. ينظر رئيسهم في الغنائم فيرى امرأة جميلة قد أخذها أحد أعوانه.. فيقول له: اتركها.. هذه لي.. لكن الرجل لا يتركها بل يسل سيفه وتبدأ مبارزة عنيفة بين الاثنين، ويتعصب لهذا فئة من زملائه، ولهذا فئة.. ولا يزالون يقتتلون ويقع القتلى من الطرفين حتى لا يبقى منهم إلا خمسة يقول أربعة منهم: نحن لا نريد القتال.. أما الخامس فيقول لهم: إن لم تطيعوني قتلتكم.. أنا زعيمكم.. فيصبح زعيمهم.. فيتقاسمون الأسلاب والغنائم، وفي الطريق يتفق الأربعة على قتله فيقتلونه، ويقوم أحدهم بتسميم الطعام للثلاثة الآخرين فيموتون وتبقى الغنائم كلها له وحده.. فيرفع سيفه ويقول: ها... ها.. ها.. أنا القوي.. أنا العظيم.. فتأتيه نبلة في وجهه فتقتله، ويظهر من خلف الجبل شاب يسرع فيقود الغنائم كلها.. حتى يصل إلى قبيلته.. ويقول: غنمت هذه الغنائم كلها بشجاعتي.. فيأتي زعيم القبيلة ويقول له: نصفها لي.. فيعطيه نصفها.. ويأتيه إخوته.. فيأخذ كل واحد منهم شيئا من الغنيمة، وينام الجميع مسرورين.. وعند الفجر يهاجم القبيلة غزاة.. يقتلون الرجال.. ويأخذون كل شيء غنيمة..

يقول المذيع: وهكذا.. سَرَقَةً يهاجمون لصوصاً.. والكل في النهاية لصوص..

ولننظر الآن إلى همجية الدول القديمة..

انتبهوا:...

الهمج يسرقون

يرى الناس شاباً يزحف على بطنه حتى يصل إلى قن دجاج.. فيسرق عشر بيضات ويعود زاحفاً.. وفي طريقه يجد كومة من القمح وقربها جرة.. فيملأ الجرة بالقمح ويسرع مبتعدا.. يقول: غنينا.. في الطريق يصادفه جندي.. فيقول له: هات بعض ما معك لمولانا الملك.. فيعطيه بيضتين وربع جرة القمح.. يصل إلى المدينة ويدخل السوق، يقف أمام تاجر يقول له: هل تشتري بيضاً وقمحاً.. فيقول له نعم.. ينظر إلى البيضات ويقول: إنها بيضات صغيرة.. كل اثنتين بواحدة.. فيوافق الشاب.. فيعطيه ثمن أربع بيضات.. ثم يقول له: إن قمحك رديء.. فيعطيه نصف ثمنه، وينقص في الميزان.. فلا يحصل السارق في النتيجة إلا على ربع ثمن القمح الذي سرقه..

فجأة يرى الناس ملكا ووزيرا.. يقول الملك: أريد مالاً.. إن جنودي سيثورون علي إن لم أعطهم رواتبهم.. فيركض الوزير ويصرخ: يا عمال الملك.. هيا إلى العمل.. نريد مالا لمولانا الملك.. يسرع الأتباع إلى الأسواق.. يصل واحد منهم إلى التاجر الذي اشترى البيضات والقمح بعد أن سرق معظم ما أخذه الفلاح..

فيأخذون البيضات كلها، والقمح كله..

نرى أتباع الملك يركضون على خيولهم في الأرياف.. يقفون أمام محاصيل الحبوب.. يأخذون نصفها.. ويكومونها كومة واحدة.. وفي الليل يأتي اللصوص فينهبون نصف هذه الأكوام.. يحمل أتباع الملك الباقي في عرباتهم.. وفي الطريق يسرقون هم نصف ما حملوه.. وعندما يصلون إلى

مستودعات الوزير.. يأخذ الوزير نصف ما أتوا به.. ويعطي الباقي للملك.. فيوزع الملك نصفه على جنوده.. ويأخذ هو نصفه..

يقول المذيع: والآن سنرى الهمجية الاستعمارية.. كانت السرقات على مستوى اللصوص والعصابات والقبائل.. فأصبحت على مستوى الدول.. يعود الفيلم..

كسرى يصرخ: هرقل أخذ بعض مقاطعات مملكتي.. يجب أن أقتله.. يقود جيشه.. ويسرع فينهب كل قرية يمر بها وكل مدينة.

وهرقل يصرخ: كسرى أتى يهاجمني.. سأقتله وأذبح جنده.. هيا أيها الجيش.. يقود جيشه ويسرع به فينهب كل قرية يمر بها وكل مدينة..

وأخيرا يلتقيان في الصحراء.. فيتقاتلان.. ثم يرسلان الرسل كل منهما إلى الآخر.. ويتصالحان.. على أن يقتسما القرى والمدن بينهما بالتساوي.. ثم يتعانقان.. ويعود كل منهما إلى عاصمته، وفي طريقهما ينهبان القرى والمدن والمزارع.. ويقودان القطعان والرعاة..

يقول المذيع: وتحضرت الشعوب.. واخترعت الأسلحة النارية.. وصار في الدنيا دول كبرى.. ودول صغرى.. فتقاسمت الدول الكبرى الدول الصغرى.. وراحت تجتاحها بجيوشها... وهي تقول جئنا لنعمر دياركم.. أنتم متخلفون.. نحن مستعمرون جئنا لنعمر بلادكم.. يدخلون البلاد. فيقتلون الزعماء... ويسرقون الأموال والثروات.. ويوزعون الخمور على الشباب.. ويسمعونهم الأغاني القاتلة، ويرونهم الأفلام المهلكة.. ويطلبون إليهم أن يقفز رجالهم على نسائهم دون أي ضابط.. ليضعفوا ولا يثوروا ضدهم..

قال المذيع: انظروا إلى الأمم:

رأوا المستعمرين يقظين.. والشعوب كلها تشرب الخمر لتنام.. وتركض خلف الشهوات لتموت.. وأولئك المستعمرون يقلبون الأرض ويخرجون الثروات.. ويزيدون من مصانعهم ومزارعهم.. وجامعاتهم ومخابرهم..

قال المذيع: وقد تطورت حروب الاستعمار الهمجية إلى حروب عمت العالم... انظروا: فرأوا الإمبراطور غليوم يرفع يده ويقول: ألمانيا تريد مستعمرات.. على حساب مستعمرات فرنسا وإنكلترا.. ورأوا إنكلترا وفرنسا تصرخان: لا نعطي غليوم شيئاً.. وكذلك روسيا وبلجيكا وهولندا.. فخرجت الدبابات، وانطلقت المدافع والطائرات.. وهلك الملايين.. في كل مكان.. واندحرت ألمانيا.. وتابع الفرنسيون والإنكليز والهولنديون والبلجيكيون والروس نهبهم للعالم..

برز هتلر، وقال: سندفن العالم كله إن لم تشاركونا بالمستعمرات.. نحن أفضل منكم.. واشتعلت حرب رهيبة.. وألقيت القنابل الذرية على اليابان..

واقتسم الأوروبيون العالم من جديد ينهبون ثرواته.. ويدمرون شعوبه بالحشيش والخمر والنساء والجهل ونشر الأمراض..

وارتفعت عمائم في كل الأرض المستعمرة، وبدأت ثورات.. في كل مكان.. باسم الإسلام...

وراح الملايين في أنحاء الخلافة الراشدة يبتسمون...

قال المذيع: وهكذا أخذ الإسلام يعيد أمجاده.. إن تاريخ الأرض كلها هو تاريخ نهب الأموال وسفك الدماء من أجل الأموال والشهوات..

لكن الشعوب استيقظت، والبلاد تنورت.. فهل انتهت أعمال اللصوصية والنهب؟!!؟

الحدود والدول

يرن جرس الهاتف في قاعة الإذاعة، فيرفع المذيع السماعة فيظهر على الشاشة رئيس مجلس إزالة المظالم يقول: أخبرني القاضي أن اللجنة قد انتهت من التحقيق في أحوال اللصين، وسوف يأتي القاضي إلى مبنى التلفاز بعد ربع ساعة لإذاعة النتائج، وإصدار الحكم عليهما، نرجو لفت انتباه المواطنين في أنحاء الخلافة الراشدة كلها..

يقول المذيع: سنتابع عرض أفلام تاريخ النهب واللصوصية في ظل الحضارات الهمجية الماضية، أما الآن فسأعرض عليكم فيلما يستغرق ربع ساعة لنرى فيه عينة مضحكة من الحضارات الهمجية اسمها "الحدود والدول"..

يظهر شاب يحمل بيده صحيفة وهو يصرخ: ماما.. ماما.. لقد نجحت في البكالوريا.. أمه تستقبله بين ذراعيها.. ثم تقول له: أريدك طبيبا يا راجح.. يجيبها: لكن بلادنا ليس فيها كلية للطب.. تقول له: اذهب إلى أي بلد تريد.. وسأبيع من أجلك كل شيء أملكه حتى تعود إلي طبيباً. هيا ابدأ فورا بمعاملة الحصول على جواز السفر..

يرن جرس الهاتف ويظهر رجل يسأل: ما معنى جواز سفر؟!. يجيب المذيع.. ستعرف بعد قليل.. ويتابع العرض..

يذهب الطالب راجح إلى دائرة مملوءة بالناس.. يقول له: أريد طلب جواز سفر.. فيعرض عنه الموظف ويقول له: قف بالدور.. فيقف ثلاث ساعات.. حتى يصل إلى الموظف.. يقول له هات هويتك.. فيسرع الطالب إلى تفتيش

جيوبه فلا يجد الهوية.. فيقول له: آسف .. لم أجد الهوية.. فيصرخ به: اذهب وعد إلي بها.. فيقول له: لكن لماذا الهوية وأنا أريد الآن طلب جواز سفر...؟!... فيقول له: هكذا التعليمات.. فيتردد الطالب.. فيصرخ به: هيا غب عن وجهي: فيذهب المسكين إلى بيته حزينا.. فيأخذ هويته ويعود مسرعا.. ويقف في الصف مرة أخرى.. حتى يأتي دوره، وعندها يقول الموظف: انتهت أوراق الطلبات.. عودوا غدا.. وفي هذه الأثناء يأتي رجل ويهمس للموظف فيناوله خمس طلبات جواز سفر.. فيعجب الطالب راجح ويقول للموظف: أرجوك أعطني طلبا.. فيصرخ به: أما قلت لك لا يوجد طلبات.. فيعود الطالب إلى بيته حزينا.. وفي اليوم التالي يذهب منذ الصباح الباكر إلى مكانه أمام الموظف. فيقال له: الموظف في إجازة.. لكنه يرى أناسا يحملون طلبات جواز سفر.. فيسألهم فيقولون له: ادفع ديناراً لذلك الموظف يعطك طلبا.. فذهب ودفع دينارا وأخذ طلبا..

وبقي أسبوعا كاملا يدور من غرفة إلى غرفة يملأ جداول الطلب الفارغة حتى وافقوا أخيراً على إعطائه جواز سفر فأخذه وعاد إلى بيته وكأنّ عمره قد زاد عشر سنين..

قال المذيع: أتعرفون لماذا ذلك (الجواز) إنه الوثيقة التي يسمح لصاحبها أن يجتاز الحدود...

رن جرس الهاتف وظهر مواطن سأل: حدود ماذا...؟!..

فأجابه: حدود الدول بعضها مع بعض.. تعالوا انظروا ماذا سيجري مع صاحبنا الطالب المسكين..

رأوا الطالب يودع أمه.. ويحمل حقيبتين كبيرتين ويصعد إلى سيارة عجيبة

الشكل..

ابتسم الناس كلهم وقالوا: سيارة أثرية رائعة..

دفع الطالب للسائق أجراً.. فأوصله إلى "الكراج".. وفي الكراج ركب سيارة أخرى مع أربعة مسافرين.. وراحت السيارة تسير في طرق إسفلتية وعرة جدا.. وضيقة جداً.. رأى المتفرجون لافتة مكتوب عليها: الحدود، نزل الطالب وسلم لدوائر الحدود جواز سفره.. وبعد انتظار ساعة أعادوا إليه جواز السفر.. فعاد إلى السيارة مع زملائه وسارت السيارة إلى مكان قريب فيه مخفر مكتوب عليه: شرطة، نزل الركاب.. وقام الشرطة بتفتيش المسافرين والسيارة...

صاح المتفرجون: ما هذه الهمجية.؟!...

وعاد الطالب والمسافرون إلى السيارة. وراحت السيارة تتحرك من جديد حتى وصلت بعد قليل إلى مبنى مكتوب عليه: "جمارك". نزل المسافرون.. وأخرجوا حقائبهم وراح موظفو الجمارك يفتشونها... وجدوا مع الطالب بعض الأطعمة والألبسة الجديدة.. قالوا له: هذه ممنوعة.. إما أن نصادرها.. أو تدفع عنها رسوما.. فقال لهم والغضب يكاد يسحقه: حسنا.. أدفع عنها رسوما.. فدفع أكثر من ثمنها رسوما.. فلما عاد إلى السيارة قال له السائق: لو دفعت ربع ما دفعته من رسوم رشوة لتركك وشأنك.. لكن الطالب لم يفهم.. قال له: هل انتهينا؟! فأجابه: أمامنا حتى نصل إلى البلد الذي ستدرس فيه سبع دول سنقف فيها كلها.. فهدئ من روعك.. وحافظ على أعصابك..

رن جرس الهاتف في غرفة المذيع فلما رفع السماعة ظهر مواطن قال: أرجوكم ما هذه الهمجية.. اشرحوا لنا ما هي الحدود.. ولماذا جواز السفر؟!

قال المذيع: كانت الدنيا مقسمة إلى مئات الدول، لكل دولة حدود مع

جاراتها...

همس المتفرجون كلهم: عجيب.. تابع المذيع: وكل دولة تحارب الدولة الأخرى.. وتنفق ألوف الملايين على جيوشها وأسلحتها وأهلها يموتون من الجوع..

همس المتفرجون: ما هذه الهمجية والعقول السخيفة.. وحمدوا الله جميعا أن الدنيا دولة واحدة وأنهم لم يسمعوا بالحروب منذ عشرات السنين..

قال المذيع: كل دولة تقول: إنها أفضل من جارتها.. وتقول لها جارتها: لا.. نحن أفضل منكم.. وتبدأ الحروب والمجازر التي يذهب فيها آلاف الضحايا.. هذا بعض ما كان في الهمجية..

نتيجة التحقيق

فجأة رن جرس الهاتف وظهر القاضي ومدير إزالة المظالم على الشاشة.. ورجع المذيع: ليخلي المكان لهما..

كان القاضي غاضباً.. بينما كان رئيس مجلس إزالة المظالم مبتسماً.. قال: هل يسمح لي أخي القاضي بالحديث أولاً.. فقال له: تفضل.. زادت ابتسامة رئيس مجلس إزالة المظالم وقال: الحمد لله.. أبشِّرُ الإخوة المواطنين كلهم أن عدروس وشروان قد اعترفا أن أحداً لم يوقع عليهما ظلماً.. أو يمارس معهما إذلالاً.. كما قالت لجنة التحقيق..

رن جرس الهاتف وظهر مواطن يقول: نريد عرضاً كاملاً لأعمال لجنة التحقيق..

ابتسم القاضي وقال: هذا ما سترونه بعد قليل.. اقترب القاضي وقال: إنني أخشى أن يكون لجنة التحقيق قد ارتكبت خطأ حين وضعها للتقرير النهائي.. على كل حال.. سنجعل الإخوة المؤمنين وكل المواطنين هم الحكم..

والآن سنعرض فيلماً كاملاً لما جرى مع لجنة التحقيق:

رأى الناس لجنة التحقيق تتقدم على طريق كله حدائق بسيارة من السيارات الجديدة..

ثم نزل أعضاؤها الثلاثة أمام مبنى مكتوب عليه: "السجن العام" دخلوا فاستقبلهم رئيس السجن، قالوا له: جئنا لنحقق مع عدروس وشروان بشأن حالتهما النفسية والاجتماعية.. فهل هما جاهزان؟ أجابهم رئيس السجن: واحد منهما في الحمام.. وآخر في الملعب.. سأستدعيهما فوراً.

وبعد دقيقتين حضر عدروس وهو يلبس ثياب الرياضة، قال له رئيس اللجنة "شاهمان": تفضل يا عدروس.. إننا جئنا لنحقق في الأمر التالي: هل وقع عليك ظلم طوال حياتك؟!.. راح عدروس يفكر ثم قال: لا أذكر ظلماً قد وقع عليّ.. والحقيقة أنني نادم جداً على ما ارتكبته، وإنني أعلن أمامكم أنني سأدخل في الإسلام!.. فرح أعضاء اللجنة.. وقال رئيسها شاهمان: حسناً..

هل هناك من حرضك على السرقة؟!..

أجاب عدروس: لا.. لا.. إنما تشاورت مع شروان.. والتقينا بأحقادنا.. وأؤكد أنني كنت مخطئاً مجرماً.. وأرجو أن تقتصوا مني حتى يغفر الله لي.. كنت أظن حين قال القاضي اذهبوا به إلى السجن أنهم سيأخذونني إلى غرفة مظلمة يلقونني بها.. وأنا المجرم الذي أستحق ذلك.. لكنني وجدت السجن

جنات حقيقية، فيها كل ما أطلب ومجاناً.. وفيها المرشد.. وفيها الذين يشرفون على صحتي.. وفيها الرياضة والسباحة والمرح.. توقف عن كلامه حين حضر شروان، فأجلسه رئيس لجنة التحقيق على كرسي، وقال له: وأنت يا شروان؟ فابتسم شروان وقال: لو كان الناس يعلمون أن السجن هو هذا.. لارتكبوا المحرمات جميعاً ليدخلوه، فاصفرّ وجه رئيس اللجنة وقال: ويلك أما تخاف عقاب الله.. هل هذه الدنيا إلا سخافة أمام نعيم الآخرة.. إننا حين نجعل السجون هكذا فلكي لا نسلط على المجرمين أي ضغط.. وليتوبوا ويرجعوا إلى الحياة وهم أكثر خيراً.. وقد زالت عقدهم..

فقال شروان: عفواً يا سيدي.. ما أردت الإساءة لدولة الخلافة الراشدة، لكنني أحببت أن أمزح..

قاطعه رئيس اللجنة وسأله: قل الآن.. هل أصابك أحد بظلم حتى ارتكبت ما ارتكبت؟.. فنفى شروان ذلك بشكل قاطع..

سأله ممثل مجالس إزالة المظالم "فاخر" ما هو عملك؟ فأجابه: معاون طبيب.. فقال له: هل يصلك راتبك في وقته؟.. فأجاب: نعم.. ، مع كل الناس.. سأله: هل أنت متزوج؟ فأجاب: لا.. وذلك لأنني لا أريد الزواج.. عندها.. وقف جميع أعضاء لجنة التحقيق وقالوا: وأنت يا عدروس، هل أنت متزوج؟ لا.. لست متزوجاً.. وتهامس أعضاء اللجنة كلهم: قد يكون السبب هو هذا.. سأل "فاخر": وهل بيتك مريح؟ فأجاب: مريح جداً.. وأنت يا عدروس؟! فأجاب: وأنا كذلك.. قال رئيس اللجنة: هيا لنرى بيتهما، وبعد دقائق كانوا في بيت عدروس.. فوجدوا كل شيء على أحسنه.. بيت من ثلاث غرف.. له حديقة.. تفقدوا أنابيب الماء والغاز والحليب والزيت فوجدوها عاملة

كلها.. رأوا البيت مجهزاً بكل أسباب الراحة.. إلا أنهم لاحظوا أن البيت كله فوضى.. وكذلك بيت شروان، سجل رئيس اللجنة ملاحظته حول فوضى بيتي شروان وعدروس.. وقال: هذا من نتائج عدم وجود الزوجة..

سأل الدكتور فاخر: هل طلبتما من الدولة أن تزوجكما فامتنعت؟! قال عدروس: الحق هو العكس، فإن لديّ عشرين خطاباً من رئيس دائرتي، ورئيس دائرة شؤون العزاب، ورئيس اللجنة الاجتماعية للحي، ورئيس دائرة مقاومة المنكرات، ورئيس مجلس زيادة النسل، ورئيس دائرة الصحة النفسية، ورئيس مجلس رعاية الأسرة، وكلها تطلب مني أن أعينها لاختيار زوجة مناسبة لي.. وقد أجبت على هذه الرسائل كلها معتذراً.. لأنني لا أرغب بالزواج.. وأضاف شروان: وقد وردت إليّ أنا أيضاً رسائل من تلك الجهات، ومن وزارة المال، وبيت مال الزكاة، تسألني إن كنت بحاجة إلى المال كي أتزوج.. وإن كان هناك عقبة مالية تحول بيني وبين الزواج، فأجبت بالنفي.

انتهت اللجنة من التحقيق، وسجلت كل شيء على أشرطة مصورة وناطقة، وودعت شروان وعدروس، وقد ألحا حين ودعتهما اللجنة أن ينزل القضاء بهما العقاب اللازم حتى يكفر الله عنهما وأعلنا عن رغبتهما في الدخول في الإسلام.

انتهى الفيلم.. واقترب القاضي وقال: لقد كشفت لنا هذه الحادثة أموراً هامة جداً.. منها خطورة الزواج بالنسبة للشباب.. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**».. وهذا أمر.. والخلافة الراشدة كان اجتهادها ألا تجبر المواطنين على الزواج.. وأنا أقترح على مجلس الشورى العام وإمارة المؤمنين أن يدرسوا أمر فرض الزواج على من

يستطيع الزواج.. لأن لهذا علاقة بالمجتمع كله.. فقد يؤدي عدم وجود طفل وزوجة لدى الرجل إلى الانحراف..

دهش الناس كلهم حين اتصل أمير المؤمنين، وقال: سأرفع مشروعاً خلال ست ساعات أرجو من مجلس الشورى أن يعطي رأيه في فرض الزواج وإن كنت أؤمن بصحة الاقتراح..

امتلأت نفوس الناس بالاعتزاز حين سمعوا ما سمعوا.. وهمسوا جميعاً: الحمد لله..

وأخيراً وقف القاضي، وقال: أنا أرى أن أؤجل صدور الحكم حتى تدرس لجنة نفسية أثر العزوبة على السارقين.. فوراً رن جرس الهاتف فرفع القاضي السماعة فظهر عدروس وشروان وقالا: نرجو يا سيدي القاضي إصدار حكمك؛ لأننا نخاف أن نموت قبل أن ينفذ فينا حكم السرقة فنؤاخذ على السرقة في الآخرة بدل الدنيا.. ونؤكد لك أننا قد ندمنا.. ونريد القصاص..

عندها وقف القاضي وقال: إن ما سرقه الجانيان التائبان لا يساوي ثمنه الحد الأدنى الذي يطبق عليه حد السرقة.. لذلك فإنني أحكم عليهما بالتعزير بأن يذاع اسمهما كسارقين تائبين في جميع أنحاء الأرض، ويعلق اسمهما في الشوارع كلها، ويحذر الآباء أبناءهم من شرهما.. ويسجنان لمدة شهرين، ويعرضان خلال الشهرين يومياً في التلفاز ليراهما الناس ويعرفوا أنهما سارقان.. لكنهما قد تابا.. والحمد لله رب العالمين..

ابتسم المذيع وقال: أرجو أن تقبلوا مني ألا أتابع عرض أساليب السرقة في ظل الدولة المستغلة.. وأن تسمحوا لي أن أريكم فيلماً عن أساليب التحقيق

في الدول الهمجية.. وأعدكم أن أتابع عرض الفيلم الأول فوراً، فما رأيكم؟!..

رنت أجراس هواتف قاعة الإذاعة وأعلن المواطنون الموافقة.. وبدأ عرض الفيلم..

وقال المذيع: أرجو أن تبعدوا أولادكم الصغار عن التلفاز حتى لا يصابوا بأمراض نفسية من رؤية الفيلم.. وأن لا تنسوا أن اليوم هو يوم الجمعة فمن أراد أن يستعد للصلاة فليسرع..

تحقيق همجيّ

قال المذيع: لقد رأيتم نموذجاً عما تقوم به لجان التحقيق في ظل الخلافة الراشدة.. فهل تستطيعون أن تتصوروا كيف كانت أعمال التحقيق تجري في ظل الهمجية الجاهلية؟!

رن جرس الهاتف ومواطن يقول: أظن أن المحققين كانوا أكثر؟!..

وقال ثان: وأخمن أنا أن المساجين كانوا أكثر..

إن التحقيق كان يجري سراً..

قال المذيع: حسناً.. حسناً، سترون التحقيق كيف يجري؟!.. تعالوا نتفرج..

رأى الناس شرطة يقودون ثلاثة من الرجال بشكل عجيب في قسوته.. فهم يلكمونهم ويركلونهم، ويسبون أجدادهم وآباءهم وأمهاتهم.. في الشارع وأمام الناس.. والثلاثة لا يعترضون.. كان الناس يتحاشون النظر إلى الشرطة ومن معهم، لكن واحداً من الناس وقف يتفرج.. فهجم عليه الشرطة وقادوه معهم ودخل الجميع بناءً عتيقاً.. وأودع الأربعة في غرفة قذرة.. لا تتسع إلا لاثنين

فقط.. فلما دخلوا هجم عليهم شرطة آخرون وراحوا يشتمونهم بألفاظ عجيبة في القذارة.. ويضربونهم ويلكمونهم.. واستمروا هكذا ثلاثة أيام دون أن يسأل عنهم أحد.. وأخيراً دخلت عليهم مجموعة من الشرطة وراحوا يضربونهم بشكل وحشي بعيدان الخيزران.. حتى لم يبق جزء من أجسام الثلاثة إلا واصطبغ بالزرقة..

كانوا يضربونهم ويصرخون بهم: ستعترفون بجريمتكم أيها المجرمون.. أليس كذلك؟!..

لكن أولئك الثلاثة كانوا يسألون: بماذا نعترف؟! فيزيدون ضربهم.. ويقولون لهم: تعترفون أنكم قد قتلتم رئيس الشرطة.. وحاولتم سرقة البنك.. وقررتم اغتيال الرئيس.. فيبكي هؤلاء الثلاثة بحرقة، ويقولون: لم نفعل شيئاً من ذلك كله..

دخل عليهم رئيس الشرطة وقال لهم: إما أن تعترفوا أو نذبحكم، لكنهم كانوا مظلومين لم يفعلوا شيئاً.. عندها وكز رئيس الشرطة أحد أعوانه فجلد كل واحد منهم خمسمائة جلدة..

كان الرابع ينظر مشدوهاً والرعب يكاد يقتله، يتلقى الشتائم والضرب والجلد وهو صامت، وأخيراً وقع على الأرض دون حراك، وكزه شرطي فما تحرك.. راح يجلده ويقول له: تتظاهر بالموت يا خنزير.. لكن ذلك الرجل لم يتحرك.. أسرع الشرطي وقال لرئيسه: تعال انظر إلى هذا الكلب.. لقد مات، أسرع رئيس الشرطة ينظر، رآه ميتاً.. فأسرع وأمر بحمله إلى السيارة وهو يقول: إلى المشفى.. قولوا وجدناه في الشارع لا ندري من هو. فلما أدخلوه إلى المشفى.. استقبله الأطباء.. وقالوا: إنه مات نتيجة التعذيب.. فآثار التعذيب بادية على

جسده.. لكن الشرطة قالوا لهم: تموتون مثله إن لم تقولوا إنه مات ميتة طبيعية.. ودفن في الليل دون أن يصلّوا عليه.. وقالوا لأهله: والدكم هذا قبره، وجدناه في الشارع ميتاً، وهذا تقرير الأطباء.. لقد مات ميتة طبيعية.. حاولنا نحن رجال الشرطة إنعاشه وخدمته.. فلم نستطع.. سبقنا الموت إليه.. ألا تعطوننا "البقشيش" على خدماتنا.. فلما لم يعطوهم بقشيشاً لأنهم يعرفون ما جرى لوالدهم.. نهبوا ما تركه المسكين في بيته من رزق لأيتامه..

أما الثلاثة فتركوا في غرفة التحقيق شهرين.. فلما ضاق بهم المكان أرسلوا إلى مكان أوسع.. فلما دخلوه استقبلهم ثلاثمائة من أمثالهم.. ولما عرفوا أن هؤلاء المساكين لهم في السجن بضع سنين دون تحقيق.. جنّ أحدهم.. ومات الثاني فجأة.. وقتل الثالث نفسه: إنهم أبرياء.. أبرياء.. لكنهم ماتوا على ذمة التحقيق..

رنت جميع أجراس الهواتف في غرفة الإذاعة طالبة إيقاف العرض.. فأعصاب الناس لم تحتمل.. فأوقف المذيع العرض وقال: إنكم لم تستطيعوا احتمال رؤية المظالم.. فكيف حال الذين وقعوا فيها؟!..

بكت أنحاء الأرض كلها من ظلم الطغاة الملاعين في الحضارات السابقة الظالمة الهمجية.

قال المذيع: احمدوا الله أن هيأ لكم هذه الخلافة الراشدة التي تسير على منهاج النبوة.. واذكروا أولئك الذين قارعوا الظالمين الهمجيين حتى غلبوهم.. وأورثوكم هذا الخير كله..

نظر إلى ساعته وقال: كنت سأعرض عليكم بقية أخبار اللصوصية في ظل الدولة المستقلة لكنني أجد الوقت قد ضاق.. ولا بد من الذهاب إلى صلاة

الجمعة.. فإلى صلاة الجمعة.. في جامع أمير المؤمنين.. لنسمع إلى ما يقوله حفظه الله وأدام صلاحه وعدله..

النجدة.. النجدة..

صعد أمير المؤمنين المنبر.. كان وجهه مقطباً.. عجب المسلمون له.. واهتزت قلوبهم خوفاً عليه.. ما أروعه.. لا ينام حتى ينام الناس.. ولا يأكل إلا إذا شبع الناس.. فلماذا هو محزون؟!.. هل في العالم شيء؟.. همسوا جميعاً: اللهم قنا السيئات.. وآتنا الخير كله..

سمع الناس رنيناً خفيفاً.. فمد أمير المؤمنين يده إلى جيبه وأخرج آلة صغيرة مثل الساعة، وضعها على أذنه، رآه الناس يقف ويقول: أخبروني فوراً بكل ما يحدث.. سنوجه إليكم النجدات من كل الأرض..

وقف منفعلاً وقال: إلى جميع فرق الإنقاذ أوجه كلامي.. توجهوا جميعاً إلى بلاد البنغال.. نعم.. جميعاً.. بكل أجهزة الإنقاذ.. هناك فيضان مخيف.. وهناك قرية مهددة.. أخبروني بما يحدث.. وفقكم الله..

أذّن المؤذن.. وراح أمير المؤمنين يخطب..

أيها المؤمنون: إن مشكلة الفيضانات يجب أن تنتهي.. كنا قد وضعنا خطة علمية لابتلاع كل ما يحدث من فيضانات.. ببناء شبكة هائلة من أقنية التصريف التي تحول مياه الفيضانات إلى مناطق تحتاج للمياه.. لكن الشبكة لم تتم بعد.. أرى أن ننجزها فوراً.. إننا نحتاج إلى بناء سبعة آلاف كيلو متر

من الأقنية.. وقد تم إنجاز ثلاثة آلاف كيلو متر منها.. أخشى أن نفاجأ بفيضانات مدمرة هذا العام.. الرأي عندي أن تتوجه قوى البناء التي نملكها كلها بإنجاز هذه المشاريع خلال شهر واحد من الآن.. حتى لا يتعرض بيت في دولتنا الراشدة للضرر..

عاد الرنين الخفيف.. فأخرج أمير المؤمنين آلته من جيبه.. ووضعها على أذنه.. وقال: في المناطق الأخرى؟.. ليس فيها ضرر!! الحمد لله.. أخبروني بما يجري.

وضع الآلة في جيبه وصاح: أيها المؤمنون إن عشرين أسرة في قرية الدوين في البنغال محاصرة بمياه الفيضانات.. ارفعوا أيديكم واسألوا الله أن يحمي إخواننا وأن يعين فرق الإنقاذ.. قولوا معي: اللهم أنقذ كل من في قرية الدوين.. اللهم فرّج كربهم.. واحمهم بلطفك وكرمك.. كان الناس في الأرض كلها يقولون: آمين.. آمين..

هتف رجل في الجامع: يا أمير المؤمنين.. إن أعضاء مجلس الشورى هم معك الآن في هذا الجامع الكريم.. لو أبدوا رأيهم في اقتراحك لإنجاز مشروع قنوات التصريف في بلاد البنغال والهند..

صاح رجل مهيب: أنا أوافق على إيقاف جميع المشاريع العمرانية في الأرض كلها حتى إنجاز مشاريع أقنية التصريف هذه.. لأن درء المفاسد والأضرار عن الناس مقدم على جلب المنافع..

وقال آخر: أنا على رأي أخي..

وخلال دقائق أعلن مجلس الشورى كله موافقته..

هتف أمير المؤمنين: هيا إلى الصلاة.. وأهيب بكل مؤمن أن يكون

معنا.. أوجه كلامي إلى جميع المشرفين على بناء المشاريع.. استعدوا لتوجيه جميع آلات الحفر العادية والذرية إلى بلاد البنغال والهند.. أوجه ندائي إلى هيئة مشروع بناء أقنية التصريف.. حدّدوا خلال ساعة دور كل آلية وورشة.. ومكان عملها.. وابدؤوا العمل دفعة واحدة.. وفي الأماكن كلها.. وعلى امتداد خطوط العمل في كل مكان يقع عليه المشروع.. سأكون معكم بعد صلاة الجمعة إن شاء الله..

ونزل مسرعاً.. وصلّى بالناس.. وخرج إلى سيارته فطار بها إلى مركز هيئة المشاريع..

همس المذيع بسرعة هائلة على التلفاز: سنقسم شاشة التلفاز إلى قسمين.. قسم ليتابع سير عمليات الإنقاذ في بلدة الدوين.. وقسم لمتابعة العمل مع أمير المؤمنين في تنفيذ مشروع القنوات.. أيها المؤمنون.. أيها الإخوة في كل الأرض.. إلى الجهاد.. المتخلف هو الخاسر.. لقد أعطى أمير المؤمنين أمره.. أصبح العمل فرضاً.. أصبح إنجاز المشروع فرضاً..

راحت المشاهد تتالى على شاشة التلفاز.. أمير المؤمنين في هيئة المشاريع.. يراقب عمل الخبراء.. وعمليات الإنقاذ تجري بشكل عجيب.. ألوف الطائرات راحت تحمل أدوات البناء والعمال.. والمهندسين.. ومواد البناء.. ومئات ألوف الناس يقاومون الفيضان.. ويوجهون سيره في آلاف الأقنية الفرعية التي فتحوها فوراً حتى لا تصاب القرى بالضرر..

تتالت الأنباء عن إنقاذ جميع القرى إلا قرية الدوين.. رأى الناس عشرين عائلة في ساحة القرية.. والمياه تهدر حولهم من كل جانب.. لقد حاصرتهم.. وهي تلامس الآن أرجلهم.. لا مكان لنزول الطائرات أو السيارات..

بكى الأطفال في قرية الدوين.. بينما كانت النساء متجهات يسبحن الله.. والرجال يحملون الأطفال على أكتافهم..

كان أمير المؤمنين يراقب عملية الإنقاذ ويكاد قلبه يتمزق.. ووجهه كله كتلة من الخوف واليقظة..

صاح: ابنوا سداً فوراً.. راحت الطائرات وبإشراف المهندسين القديرين تنزل جدراناً مصنوعة جاهزة وتغرسها حول تل قرية الدوين الذي يقف عليه الناس.. حتى أحاط بهم سد بلغ ارتفاعه خمسة أمتار.. صار يحجز عنهم المياه..

صاح أمير المؤمنين: ابنوا فوق السد قاعدة عائمة.. فراحت الطائرات ترمي بالقوارب العائمة حول السد حتى تكونت ساحة عائمة كافية لهبوط الطائرات.. فهبطت ست طائرات.. وست سيارات.. وأسرع رجال الإنقاذ.. فقذفوا بأنفسهم من فوق جدران السد إلى المحاصرين.. حملوا الأطفال فوراً.. فزغرد النسوة كلهم في تل الدوين.. بينما كانت عيون الناس في الأرض كلها تراقب.. والقلوب تضرب بعنف.. كانت الطائرات والسيارات الطائرة تقلع بكل طفل يأتي.. وبدأ إنقاذ الرجال والنساء.. وأخيراً بقيت عائلة واحدة.. زوج وزوجة.. وحدث ما لم يكن متوقعاً.. انهار جدار من السد تحت ضغط الفيضان.. وتدفقت المياه بشكل مخيف فجرفت التل والرجل وامرأته.. صرخ أمير المؤمنين: اصعد فوق الجدار.. اصعد فوق السد.. وزأرت ثلاث طائرات فوق السد.. ووقفت في الهواء.. وألقت عشرات الحبال.. تناول الرجل حبلاً وأعطاه لزوجه.. فأمسكته وطارت الطائرة.. حتى أنزلها بهدوء فوق القاعدة العائمة..

أما الرجل.. فانهار من التعب.. وسقط في الماء.. وفي لمح البصر ألقى

عشرة من السباحين أنفسهم فوق تل الدوين.. ورفعوه بأيديهم.. وكان بينهم طبيب.. حملوا الرجل.. وحملوا الطبيب الذي كان يعالجه وهو محمول حتى أفاق.. ربطوه بقارب خفيف عائم.. وربطوا القارب بحبال إحدى الطائرات.. وأمسكوا جميعاً بالحبال.. وارتفعت الطائرات إلى بر الأمان.. وبعد دقائق عادت إلى الرجل نفسه.. فأفاق.. وزغردت الأرض كلها لعينيه حين انفتحتا.. ولبسمته حين انفرجت بها أساريره..

قال أمير المؤمنين: الحمد لله.. ليس هناك خسائر بين المكرّمين.. والآن.. إلى البناء.. بناء البلاد والأقنية بكل الطاقات..

راحت أمواج الفيضان تتسرب عبر ألوف الأقنية المؤقتة التي حفرها الرجال.. فلما انتهى الخطر.. رأت الأرض كلها ملايين العمال والمهندسين يعملون في كل مناطق الفيضانات.. على كل مائة متر ورشة تنفذ ما أوكل إليها من عمل..

كانت الجبال تنهار والأقنية تبنى.. والسدود تُعمّر، والجميع ينشدون:

إلهنا الله وربنا القادر..

فيا جبالي أوبي.. ويا سدود هذبي عدونا الفيضان.. عدونا الفيضان..

إلهنا الله.. وربنا القادر

يا رب مكنا من لجمه بعنان.. عدونا الفيضان..

نبينا يا ربنا.. وصحبه يا ربنا

ومن بنوا شموخنا.. وأعلوا البنيان..

صلى عليهم ربنا.. على مدى الأزمان..

أطل المذيع وقال: إن الله مع كل المؤمنين.. مع كل مجاهد.. هذه أمة

الله.. هذه دولة الإسلام.. ولا أحب أن أعكر عليكم روعة ما تشاهدون..

رن جرس الهاتف فرفع المذيع السماعة فرأى الناس رئيس مجلس الصحة النفسية يقول: أخي.. إنَّ عَرْضَ بعض ما كانت عليه الهمجيات الملعونة مفيد الآن.. ليعرف المؤمنون ما هم عليه من نعمة.. فهل لديكم فيلم يصور مشروع بناء سد وقنوات ري في ظل الهمجيات الماضية؟..

همس المذيع: نعم.. نعم.. لدينا لا شك.. أخاف أن لا يرغبوا بذلك حرصاً منهم على متابعة أعمال البناء..

رن الهاتف وقال مواطن: أرى أن تذكروا لنا أخبار البناء بين فترة وأخرى.. خلال عرض فيلم الهمجيات السابقة..

ووافق الناس.. وابتدأ العرض..

طغوان يريد سدّاً!

رأى الناس رجلاً طويل القامة.. أسود الوجه.. يسير في غرفة ملكية جيئة وذهاباً بعصبية ظاهرة..

فتح الباب ودخل رجل أبيض الوجه، أشقر الشعر.. همس: أنا في خدمة السيد الرئيس..

صاح طغوان: أريد عملاً يرفع شأني بين جماهير شعبي.. وفي العالم كله يا سوخوف..

همس سوخوف: أما أن يرفع شأنكم بين شعبكم فهذا ممكن.. لكن أن يرفع اسمكم في العالم كله فهذا مستحيل، لأن الناس يفهون.. فلا ينطلي

عليهم الدجل..

قال طغوان بعصبية: لا.. أريد مشروعاً حقيقياً.. أبهر به العالم كله..

ابتسم سوخوف وهمس: حسناً.. سنفكر لكم يا مولانا الرئيس سنفكر لكم.. وخرج مسرعاً..

ويمر شهران:

رفع طغوان سماعة هاتف بدائي وقال: سوخوف: لم ترد عليّ جواباً بعد.. أريد مشروعاً.. وقد فكرت أنا بالمشروع.. إنه مشروع سد عظيم فما رأيك؟

فأجابه سوخوف: حسناً سآتيك حالاً.

سنبني السد.. سداً مدهشاً.. طوله عشرة آلاف متر.. وعرضه عشرة آلاف متر.. وارتفاعه ألف متر.. فما رأيك؟

ابتسم سوخوف بسخرية وقال: أراك مهندساً عظيماً يا سيدي الرئيس.. لقد حددت أبعاد السد منذ الآن.. لكنني لا أعرف نهراً في العالم عرضه عشرة آلاف متر..

همس طغوان: إن عندنا عشرة أنهار.. نجمعها مع بعضها.. ونجعل لها مجرى عريضاً مقداره عشرة آلاف متر.. ونبني على ذلك المجرى سداً.. فما رأيك؟

همس سوخوف: عظيم.. عظيم..

قاطعه طغوان: وسيكون أعظم سد في العالم.. تنشر أخباره وكالات الأنباء، وتصوره التلفزيونات.. وأعطي أنا بعدها التصريحات الرنانة التي تعادل حجم هذا السد الذي سيكون أكبر سد في العالم.. فما رأيك؟.. أليس هذا المشروع عظيماً؟..

حسناً.. حسناً.. سنبني السد.. سنبنيه، لكن يجب أن نحسب أولاً تكاليفه.. سأعطيك قائمة التكاليف بعد أيام.

سوخوف يناقش رجلاً كبيراً أصلع عريضاً.. يقول له: سيدي، إن المجنون طغوان يريد أن يبني سداً.. مهما كلفه ذلك..

يجيبه: لكن السد لا ضرورة له.. وليس عنده أنهار عريضة ليبني عليها السدود..

أجابه سوخوف: إنه يريد الشهرة يا سيدي ولو لم يكن عنده نهر لبنى سده على البحر.. لكنه قال إنه سيجمع أنهاره كلها في نهر واحد، ويجعل مجراه عشرة آلاف متر ليبني عليها سداً ضخماً.. إن للمشروع فوائد عظيمة لنا يا سيدي.. نشترط عليه أن نقرضه تكاليف السد، بفائدة مضاعفة، ونفرض عليه أن لا يشتري لبلده بضائع إلا من عندنا.. وبالتالي تأخذ أموال بلده كلها، ويصبح هو تابعاً لنا.. فما رأيك؟!..

أجاب الأصلع: مشروع عظيم.. ما هي تكاليف السد الحقيقية؟.. إن تكاليف السد ألف مليون دينار..

قاطعه الأصلع: إذن نقول له إن التكاليف هي عشرة آلاف مليون دينار.. ونفرض عليه فائدة مقدارها عشرون ألف مليون دينار.. ونقول له: إن عليه أن يسدد ديون السد من محاصيل بلاده على أن يحسب سعرها بنصف ما تباع به.. وبالتالي فإن مجموع ما سنأخذه منه يبلغ ستين ألف مليون دينار.. على أن يدفع كل سنة ألفي مليون دينار.. فنكون قد أخذنا منه ضعف ثمن السد في أول سنة.. والباقي كله ربح لنا.. فما رأيك؟

همس سوخوف بفرحة: عظيم.. عظيم.. لكنه قد يطالبنا أن نحول

لحسابه رشوة ألف مليون دينار.. فماذا نفعل؟

فأجاب الأصلع: تعطيه إيّاها من الدفعات الخمس الأولى فما رأيك؟..

أجاب سوخوف: حسناً.. حسناً.. أنت عبقري يا سيدي..

ويقتربان..

سوخوف مع طغوان: وافقت دولتي على بناء السد الذي تريد..

قاطعه طغوان وهو يقفز: حسناً.. حسناً.. نحن نشكر أصدقاءنا العظام.. نشكرهم.. يقترب منه ويهمس: وهل حسبتم حساب رصيدي الخاص؟!

قاطعه سوخوف قائلاً: طبعاً.، طبعاً.. ألف مليون دينار هدية لسيادتكم لتستعينوا بها على نوائب الدهر؟.. فهل يكفي هذا..

قاطعه طغوان وهمس: لا بأس.. مبلغ معقول.. لكن عليكم أن ترضوا الوزراء والمديرين والمساعدين والعمال..

همس سوخوف: أما العمال فسنوزع عليهم الخمور مجاناً.. ونأتيهم بالشقراوات أيضاً مجاناً..

عبس طغوان وهمس: والمديرون والوزراء؟

أجاب سوخوف: أما الوزراء والمديرون فلهم الشقراوات مع أكياس الدنانير يا مولاي..

قاطعه طغوان: حسناً.. لنبدأ العمل فوراً.. أسمعت ما أقول: فوراً.. أريد أن أعقد أول مؤتمراتي الصحفية حول السد.. لم أعد أستطيع الصبر..

رأى الناس جميعاً سداً هائلاً تحته نهر صغير جداً، لا ماء فيه، ثم تصدعت الأرض من ثقل كتلة السد، وانهار السد.. وانهارت مع انهياره عزة الأمة.. وأصبحت كلها عبيداً للمجرمين المستعمرين لقرن من الزمان..

جرس الهاتف يرن ويظهر رجل يقول: أما كان الشعب نفسه قادراً على بناء السد بنفسه؟!

أجاب المذيع: الخبراء يرون أن السد أصلاً لا حاجة له.. فهو عمل يقصد منه الدعاية لشخص الطاغية طغوان.. ويقصد به امتلاء خزانة ذلك الطاغية بالمال الحرام..

يسأل مواطن آخر: لماذا لم يوقف الشعب هذه المشاريع الضارة؟

أجاب المذيع: تعال انظر إلى موقف الشعب..

نرى أمامنا مباني ضخمة مكتوباً عليها: جامعة الوطن.. والجامعة الحديثة.. وجامعة الحرية.. نرى الطلاب يقرؤون الصحف عن أخبار السد.. ويتهامسون.. ثم يهزون قبضاتهم غضباً.. ثم يتجمعون ويسيّرون مظاهرة يهتفون بها: السد سيأتينا بالاستعمار.. لا نريد السد..

وفجأة ظهرت المدرعات والسيارات المصفحة.. ونصبت المدافع.. وبدأ إطلاق النار.. فانقذفت جثث الطلاب في الهواء وقتل الجميع.. وتهدمت الجامعة.. أصدرت الحكومة عشرات البيانات قالت فيها: إن هؤلاء الطلاب خونة يقاومون تقدم البلاد.. مخربون لا يريدون رفعتها لا يريدون نهضتها..

امتلأ الناس في الخلافة الراشدة بالأحزان.. وهمسوا جميعاً: ما هذه الهمجية؟ ألا لعنة الله على هؤلاء الحكام.. إنهم خونة.. إنهم مجرمون.. إنهم لصوص..

بينما كان المذيع يقول: سادتي.. سأستعرض معكم أرصدة بعض السلاطين والملوك التي بقيت في البنوك لم يستفيدوا منها؛ لأنهم قتلوا في دولهم.. أو ماتوا.. وذكر سبعين ملكاً وسلطاناً.. كان أقلهم يملك الذهب

بالقنطار والأمتار المكعبة، وأكثرهم كان يملك ألوف ملايين العملات الذهبية المختلفة.. ولا تنسوا الوزراء والمديرين فكلهم في الشكل سواء..

تمثلت أمامهم جميعاً صورة أمير المؤمنين في دولة الخلافة الراشدة.. كيف أنه يملك بيتاً مثل بيوتهم.. وله راتب مثل رواتبهم، له ميزة واحدة فقط وهي أنه يستطيع أن يشتري أي كتاب يريده على حساب الدولة.. وما كان الكتاب يحوجونه لذلك فكانوا جميعاً يهدونه مؤلفاتهم..

الله أكبر

أصيبت الدنيا كلها بالرعب.. واهتزت دولة الخلافة الراشدة بعنف.. حين رأى الناس المذيع يمسك بيده ورقة ودموعه تبلل لحيته.. عجبوا لذلك.. لكنهم كادوا يصابون بالجنون حين قال المذيع: إنا لله وإنا إليه راجعون أنعي إليكم أمير المؤمنين.. رضي الله عنه.. فارقته الروح منذ دقيقتين، ما كاد الناس يصدقون.. لولا أن الشاشة قد انتقلت فجأة ليرى الناس كلهم أمير المؤمنين مسجى في أحد المشافي.. والأطباء حوله كلهم يبكون..

بكت الأمة كلها عليه.. كان في قلب كل مؤمن، وكل إنسان في دولة الخلافة الراشدة التي تعم الأرض..!

مضت دقائق، وابتدأت البرقيات تنهال على مقر الخلافة.. ولم تمض ساعة واحدة إلا وطلبت جميع الولايات إجازة مدتها ثلاثة أيام، أغلقت الأسواق أبوابها إلا ساعتين في اليوم.. إلا مشروع السدود والأقنية لمنع الفيضان فقد استمر..

وكان الناس ينتظرون بياناً من رئيس مجلس شورى المسلمين.. فوراً انتقلت الإذاعة إلى مجلس شورى المسلمين.. اجتمع المجلس للبدء بإجراءات انتخابات جديدة، أعلن رئيس مجلس الشورى انعقاد المجلس بشكل دائم حتى يتم انتخاب خليفة جديد، وطلب إلى أمراء جميع أجزاء الدولة أن يتقدم الشعب بمرشحيه خلال ساعتين، على أن تبدأ مراسيم دفن أمير المؤمنين "عز الحق".

انتقل مجلس الشورى كله إلى بيت أمير المؤمنين وابتدأ تغسيله وتكفينه، أعلن التلفاز أن الصلاة على أمير المؤمنين ستكون بعد ساعة في جامع الشهداء..

كانت الجموع تزحف بشكل هائل إلى ساحات مدينة "الإسلام" عاصمة الدنيا.. فلما صلى مجلس الشورى عليه راحت عواصم الدنيا تصلي صلاة الغائب على أمير المؤمنين، ودفن الخليفة "عز الحق" في أكبر ساحات "مدينة الإسلام" ضمن حديقة رائعة الجمال. فيها عشرة آلاف لون من الأزاهير، هي حديقة العاصمة الأولى.. وسميت حديقة عز الحق..

انتهت مراسيم الدفن وراحت البلاد تتصل بمرشحيها.. انقسمت الولايات إلى قسمين: قسم أجمع على توكيل مجلس الشورى باختيار المرشحين، وقسم قدم مرشحيه، كان المرشحون تسعة، واتفق مجلس الشورى على ترشيح ستة مرشحين آخرين.. وتركت بعدها مهلة يوم كامل ليتقدم من يريد ترشيح نفسه.. فلم يتقدم أحد..

شكّل مجلس الشورى فوراً خمس عشرة لجنة علمية وقضائية مهمتها دراسة تاريخ حياة كل من المرشحين.. لعرضها على الشعب فوراً.

وخلال ست ساعات وضعت الدراسات اللازمة..

قال المذيع: أيها المواطنون: هيا سجلوا على سجلاتكم تاريخ كل مرشح بعد ربع ساعة سنبث تاريخ الإخوة المرشحين..

بدأ المذيع يعلن:

المرشحون..

– الدكتور حبيب الحق، دكتور في كيمياء الكون، أتقن علوم الإسلام الأساسية في سن التاسعة، وعمل ست سنين في إدارة المواصلات بين النجوم بعد تخرجه من الجامعة، وخلال دراسته تقدم بتسعين دراسة عن مجموعة من فنون الفضاء. اختص حتى سن الأربعين في مشاريع خدمة الأمة من خلال نتائج الفضاء.. كان على رأس اللجنة التي اخترعت السيارة الجديدة، فأدار المشروع بنجاح عظيم.. تفوّق في دورة لإدارة معمل، ودورة لإدارة مجموعة من المعامل تنتج سلعة واحدة هي معامل تطوير الأسلحة النافعة، ثم أدار جميع معامل البلاد المختصة بمركبات النجوم، وتحويل التربة إلى معادن، وتصنيع مواد الفضاء، وصناعة المشافي الجاهزة، وأخيراً معامل السيارات ذات الخدمة العامة.

لم يعرف عنه خلق سيئ.. إلا أنه يقنع العاملين معه بنجاح العمل ليلاً ونهاراً وطموحه قد يفوق طاقة مساعديه.. وله ستة أولاد، وزوجة واحدة.

من بلاد السودان.. وعضو في مجلس الشورى العام.

– الدكتور حميد الله دكتور في طب الخلية الدماغية، حفظ القرآن عندما كان في العاشرة، وأتقن معه علوم الإسلام، كان الأول باستمرار حتى تخرجه في الطب، عالج ستين حالة جديدة من أمراض الخلية الدماغية، تفوق في

أدب الإدارة، وأدار مشافي الخلية الدماغية في دولتنا الراشدة، وقاد حملة القضاء على أمراض الأعصاب، وقدم بحثاً عن إعادة الخلايا الدماغية إلى حالتها الفطرية، مما ساهم في رفع سوية الذكاء ثلاثة أضعاف ما كان عليه، أمه راضية عنه، وأبوه يعتب عليه أنه لا يترك وقتاً لراحة جسده، أولاده خمسة، أهم ما يأخذه عنه زملاؤه أنه لا يتركهم يشاركونه في الأعمال الصعبة الشاقة، بل يقوم بها بنفسه، ويميل إلى العزلة أحياناً..

أهم دوراته الإدارية: دورة في إدارة محدودي الذكاء، ودورة في إدارة مجمعات الصناعات الشعبية وعمالها، عضو في مجلس الشورى، ورئيس لجنة الصحة العامة، والمعامل الصحية، من ولاية أفغانستان.

– الدكتور سليم الدين بن أحمد، دكتور في فقه الإدارة، دخل عشر دورات في فنون المؤسسات العسكرية، ودورة في إدارة مجمعات المواد الغذائية الحيوانية وقام خلال عشرين سنة بإدارة هذه المجمعات، حتى انتخب عضواً لمجلس الشورى.. يؤخذ عليه أنه أهان يوماً مساعده؛ لأنه تأخر عن أداء بعض المهمات في دقائق، مما أدى إلى ضياع مليون وثلاثمائة ساعة عمل في مجمعات المواد الغذائية، وطلب إبداله رغم كفاءته.. ولد في مكة، ولا زال أبوه هناك..

– وكان من بين المرشحين رئيس مجلس الشورى، وأحد عشر أميراً من أمراء الولايات.. مشهورون.. وتاريخ حياتهم معروف للأمة كلها..

اعتذر ستة من أمراء الولايات، لأسباب أوضحوها تدور حول إيمانهم أن المرشحين الآخرين هم أقدر منهم.. وأنهم لا يريدون ارتكاب معصية بالتقدم إلى منصب هناك من هو أرضى لله منهم في إدارته.

كما اعتذر رئيس مجلس الشورى، وأيد الدكتور حبيب الحق مرشحاً للإمارة.. فتنازل بقية أمراء الولايات للدكتور حبيب الحق..

بقيت المعركة ما بين حبيب الحق، وسليم الدين ابن أحمد، وحميد الله.

كانت أعمار الثلاثة في حدود الخمسين سنة، وكانوا أقوياء الأجسام.. عمالقة في الذكاء والعلم والخبرات.

أعلن المذيع أن القادة الثلاثة سيتناقشون في قضية إدارة البلاد بعد قليل أمام الجمهور..

تقدموا إلى قاعة التلفاز حسب بداية أسمائهم مرتبة على الأحرف الأبجدية، حبيب الحق أولاً، ثم حميد الله، ثم سليم الدين بن أحمد.

أما حبيب الحق فكان طويلاً أسود اللون يلبس ثياباً بيضاء نقية، مزخرفة أفريقية رائعة الألوان، كانت الهيبة كلها متجلية في طلعته.. أفريقيا مدهشاً.

همس معظم الرجال في الخلافة الراشدة: الله أكبر.. إنه عظيم حقاً..

أما حميد الله، فهو أبيض اللون، أشقر الشعر مربوع القامة، يضج وجهه بالنور.

أما سليم الدين بن أحمد، فكان أسمر الوجه عربياً صميماً، طويلاً نحيفاً، شامخ الرأس عنيف النظرات، كأنه شعلة من لهب..

عانق بعضهم بعضاً.. كأنهم الود كله.. ثم جلسوا.. وراح الناس ينظرون بشوق إلى هؤلاء العمالقة العظام، احمرّت وجوه الثلاثة بالخجل.. تقدم رئيس

مجلس الشورى وقال:

إخواني.. هؤلاء هم خير الأمة على الإطلاق، تمثلت فيهم روح الإسلام، يزينهم العلم، وتهديهم الحكمة، أذكياء النفوس، خبراتهم كالجبال.. وأخلاقهم القرآن..

من عجيب الأمر أن كل واحد من هؤلاء العمالقة الثلاثة قد طلب بإلحاح أن يتنازل لأحد أخويه، والآن ليتفضلوا بعرض مناهجهم وبرامجهم، وأنتم أيها الناس بعد ذلك الحَكَمُ.

تقدم سليم الدين بن أحمد، فصمتت الدنيا كلها.. قال: الحمد لله وحده، واسع الحمد عظيم المنّة، المنعم علينا بالإسلام وبنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم..

إن برنامجي إن شاء الله تعالى يتمثل في نقطة واحدة هي: تصفية آثار الجاهليات الهمجية تماماً، حتى لا يبقى لها أثر في هذه الأرض التي باتت تسجد لله وحده.. إن الخطوات الحاسمة التي خطاها أمير المؤمنين "عز الحق" في هذا السبيل مجيدة حقاً.. لكن الزمن لم يسعفه، وقد اختاره الله إلى جواره ونحن أحوج ما نكون إليه، لكن سنة الموت باقية إلى يوم القيامة، ومحمد رسولنا صلى الله عليه وسلم قد مات.. وأقول لكم إنني أتمنى يا إخوتي أن تختاروا للخلافة أحد الكريمين العظيمين، حميد الله أو حبيب الحق، وسأكون عوناً لهما وسنداً.. والحمد لله رب العالمين.

ثم تقدم حميد الله.. وقال: الحمد لله الذي أتمّ علينا نعمه، وأكرمنا بدينه، وأرسل لنا خاتم الأنبياء محمداً صلى الله عليه وسلم.

إن برنامجي بسيط كبرنامج أخي خلاصته أن أدرس جميع المؤسسات

التي تقوم عليها الخلافة الراشدة، وأصفي كل تعويق فيها.. وأضع كامل الضمانات كي تستمر خلافتنا الراشدة إلى ما شاء الله.

وأؤكد لكم أن سليم الدين وحبيب الحق هما أفضل مني.. فأزكيهما لكم وأسأل الله أن يجعلنا عوناً لأي منهم إن اخترتموه.. والحمد لله رب العالمين، وعاد إلى كرسيه.

وتقدم حبيب الحق، وقال: إن برنامجي مؤلف من نقطتين:

أولاهما: أن أسعى بخطوات أوسع في تسخير الكون كما أمر الله.. وأقدّر أن تصفية بقايا الجاهليات الهمجية من مجتمع الخلافة الراشدة يدعمه أن نستعين بطاقات الكون كله لخدمة الإنسان..

أما الأمر الثاني: فهو الحرص الشديد على دعوة الأقليات غير المسلمة في مجتمع الخلافة الراشدة بشكل يؤدي إلى دخولها في الإسلام، لتسجد الأرض كلها سجدة واحدة لله عز وجل، وأعلمكم أنني سأستعين بالكريمين العظيمين، سليم الدين، وحميد الله، وأذكر لكم أيها الإخوة في كل مكان أنني أدعوكم إلى انتخاب أحد هذين العظيمين لما أرى لهما من فضل عظيم، وخبرة فذّة، وقوة على إدارة شؤون الأمة.. والحمد لله رب العالمين..

توجه رئيس مجلس الشورى إلى الناس وقال: والآن هل لدى أحد منكم سؤال؟

رنت هواتف الغرفة كلها دفعة واحدة، رفع رئيس مجلس الشورى أحدها فظهرت صورة امرأة قالت: لقد شعرت بالحيرة أمام إخوتنا العمالقة الثلاثة.. ولدي اقتراح: أن ينتخب إخواننا الثلاثة من يرونه مناسباً بينهم للخلافة، ليكون اختيارهم قدوة لنا أثناء اختيارنا لأحدهم..

ابتسم رئيس مجلس الشورى، وقال: أنا أؤيد هذا الاقتراح فهل يقبل إخوتنا المرشحون الثلاثة به...؟!...

وافق الثلاثة عليه، وأعطى رئيس مجلس الشورى ورقة لكل منهم وقلماً.. وقال تفضلوا انتخبوا واحدا منكم... فكتب كل واحد منهم اسما على ورقة وأعطاها لرئيس مجلس الشورى... وفتح رئيس مجلس الشورى أول ورقة فوجد عليها اسم حبيب الحق، وفتح الثانية فوجد عليها اسم حبيب الحق، وفتح الثالثة فوجد عليها اسم سليم الدين...

ابتسم سليم الدين وحميد الله بشكل رائع والسرور يهزهما هزا وقالا معا: لي الشرف أن أكون قد انتخبت أخي ورئيسي حبيب الحق... أما حبيب الحق فقد أشرق وجهه بنظرة حازمة، وقال: اللهم إني أسألك العون كله...

ورنت هواتف غرفة التلفاز كلها، وقال رئيس مجلس الشورى: ليقل الشعب الآن كلمته الحرة....أنا بانتظار رأي الأمة خلال ساعتين... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ظهر المذيع، وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. إن هذه الأمة العجيبة هي أمة الإسلام العظيم.. ما أروع هذا الذي حدث!!! أمة فيها خمسة آلاف مليون إنسان تنتخب خلال ساعتين أعظم رجالها!!.

ابتسم وقال: والآن أيها السادة ما رأيكم أن أعرض عليكم خلال الساعتين التاليتين وحتى تأتي نتيجة الانتخاب فيلما عن الهمج المجرمين كيف كانوا ينصبون رؤساءهم وقادتهم؟ رنت جميع أجراس هواتف الغرفة كلها بالموافقة..

فقال المذيع: فورا سترون الهمج بأجلى صورهم:

الحكام الهمجيون..

ظهرت على شاشة التلفاز صورة ملك يقول لمن حوله: بايعوا ابني ملكا عليكم.. وإلا ذبحتكم..

فقال الجميع: لا حاجة لذلك يا مولانا.. نحن عبيدك وعبيد ابنك.. وبايعوا ابنه الشاب ملكا..

فرح الشاب أنه أصبح وليا للعهد، ومضت سنوات دون أن يموت أبوه، وفي خمارة قال لرفاقه: لقد اشتقت أن أكون ملكا فما العمل؟!.. أجابه واحد منهم وهو يهز رأسه من أثر الخمر: اقبض على أبيك، واعزله.. واستلم الملك فورا..

قال الشاب: حسنا.. قوموا بنا إلى قصر أبي.. فدخلوا القصر وذبحوا أباه وأعلنوه ملكا..

قال المذيع: انظروا شكلا آخر من طرق الوصول إلى الحكم.

رأى الناس مجموعة من عسكر المماليك مجتمعين في اصطبل.. قال أحدهم: الرأي عندي أن نقتل السلطان، ونجعل واحدا منا سلطانا، فما رأيكم؟؟

أجابوا جميعا: عندها نأكل العسل، ونلبس الحرير.. ونستريح من خدمة السلطان.. وأوامره.. هيا إلى العمل.. ركبوا خيولهم وجمعوا جنودهم.. ودخلوا قصر السلطان متظاهرين بالحب له.. فلما أصبحوا في بلاطه أعلنوا النداء عليه.. فهجم السلطان عليهم.. وهجم معه جنده.. فقتلوهم جميعا.. لكن أحد أعوانه طعنه بخنجر وقال: أيها الغادر تقتل أتباعك!!!! ثم صرخ: أنا السلطان.. فقال الناس كلهم: أنت السلطان.. أنت السلطان.. نحن جنودك يا

سلطان؟!

ظهر المذيع وقال: وتارة أخرى يكون تولي السلطة بشكل آخر، تعالوا نرى:

ظهر عدد من القادة في قصر كبير، يتهامسون: السلطان قد مات.. فاختاروا سلطانا منكم قبل أن يقفز إلى كرسي السلطة رجال غيركم..

قال واحد: أنا أختار طومان باي، وقال الثاني: وأنا أختار مومان باي.. وراحوا يتناقشون... طومان أم مومان.. وأخيراً.. همس طومان لهم: لكم نصف أموال المملكة إن جعلتموني سلطانا.. فوافقوا كلهم عليه، فلما اعترض مومان باي ذبحوه كلهم وخرجت من قصر السلطان جنازتان.. جنازة السلطان القديم وجنازة مومان باي.

رن الهاتف في غرفة التلفاز: فرفع المذيع السماعة فظهر على الشاشة رجل قال: أين الشعب في ظل هؤلاء الحكام...؟

ابتسم المذيع ابتسامة ساخرة وقال: الشعب؟!... كان الشعب يعيش مسحوقا.. علماؤه مضطهدون، وقادته ملاحقون إنه بقرة السلطان يحلبها كلما أراد؛ فالشعب مصدر المال، وعند الضرورة يترك السلطان شعبه لأعدائه دون أن يحميهم فيقومون هم بحماية أنفسهم وبلادهم..

ففي أيام السلم هم الذين يدفعون الرسوم، وفي أيام الحرب هم المقاتلون.. بنوا حياتهم بعيدا عن حكوماتهم، وهل تنهض شعوب حكوماتها غادرة فاجرة خاسرة؟!...

تعالوا لننظر إلى أساليب أخرى تصنع فيها الحكومات:

ظهرت على شاشة التلفاز صورة أناس يهتفون، يخطب فيهم رجل يقول: انتخبوني.. أقلب حياتكم نعيما.. وبؤسكم جنات.. ما رأيكم؟! يقولون: كم تدفع...!... غيرك دفع، فيقول لهم: أنا شريف.. لا أدفع، إن رأيتموني شريفا فانتخبوني... تقترب الصورة من رجلين ضمن المجتمع يقول أحدهما للآخر: سيدنا الخطيب سيدفع لكم ما تريدون.... لكن ليس أمام الناس... استروها.. فتنتقل همسات بين المجموع: سيدفع.. سيدفع.. سيدفع.. ثم يصرخون جميعا، يعيش النائب الحر... يعيش... وبعدها نرى ذلك الخطيب يدخل إلى البرلمان بسيارة فخمة جدا... يصفق له النواب... ثم يجعلونه رئيسا للجمهورية.. يدخل إليه مندوب شركة، يقول له: سيدي... أنا أتعهد مشروع بناء مصانع الإسمنت، يجيبه: حسنا: كم تدفع.؟!... فيجيبه: نصف ثمن المشروع... فيقول رئيس الجمهورية: أنا موافق.. لو تعهدت أنت كل المشاريع لأعطيناك إياها.. فما رأيك!!... فيجيب: كم تبلغ أموال تلك المشاريع؟ فيجيبه الرئيس: خمسة آلاف مليون.. نصفها لك.. ونصفها لنا ولجماعتنا... يتصافحان بحرارة... وترسوا المشاريع كلها على صاحبنا وشركاه.

يظهر المذيع ويقول: انظروا بعدها ماذا حدث في بلد مثل الكونغو...

يرون رئيس الجمهورية في غرفة مملوءة بالليرات يقول: هذا المال كله حصيلة عام واحد فإذا بقيت عشرة أعوام كان لدي عشر غرف مملوءة.. يا سلام.. يحيا الوطن... في غرفة ثانية يظهر مجموعة من الضباط يتهامسون: مرتشي.. حرامي.. سرسري.. يجب أن نطرده من حكم البلاد..

بعدها نرى مجموعة من الدبابات تسير مسرعة حتى تطوق القصر الجمهوري والإذاعة، ونرى الضباط قد قتلوا رئيس الجمهورية، وربطوه من رجله

وجروه في الشوارع.. ونسمع الإذاعة تنادي: يا شعب الكونغو العظيم، نريدك حراً... سنبني لك المصانع.. سنخلصك من الرشوة، ستعيش مكرما معظما.. انظروا إلى غرف الرئيس التي ملأها بالأموال.. إنها من أموال الشعب.. فيخرج الشعب في مظاهرات هائلة.. يحيي الأبطال المغاوير...

بعدها نرى جماعة الضباط الكونغوليين يعانق بعضهم بعضاً.. يقول أحدهم.. نحن عشرة، ولكل واحد منا غرفة مملوءة بالذهب من غرف رئيس الجمهورية الراحل... ما رأيكم.؟!.. ويتقاسمون.. ويعودون إلى سيرة أسوأ من سيرة الرئيس القديم..

نرى الشعب يتساءل: أين الحرية..؟!.. أين الكرامة.. يخرج في مظاهرات.. فتهجم الدبابات، لتسحق الناس، وتحرق الشوارع.. والدور والأسواق.. ويصرخ القادة في الإذاعات: لقد قتلنا الأشرار.. من أعوان رئيس الجمهورية الخائن السابق.. لا مكان بيننا للظالمين وأعوانهم... في سبيل العدل سندمر كل أعوان الرؤساء السابقين.. ويعود الناس إلى بيوتهم، يداوون جراحهم، ويبكون قتلاهم... ليعيشوا في ظل ظلم أعظم من سابقه بكثير..

يظهر المذيع ويقول: هكذا كان الهمج الفجرة المجرمون يحكمون شعوبهم.. إن هؤلاء سيلعنهم الله.. وسيلعنهم الناس إلى يوم الدين.. فاحمدوا الله أنكم قد خلقتم في ظل هذا العدل العظيم..

والآن تعالوا ننظر إلى وحشية أفظع هولا.. وحكم أعظم شراً..

يرن جرس الهاتف فيرفع السماعة فيظهر مواطن يسأل: هل ظهرت نتيجة الامتحانات؟!..

يظهر رئيس مجلس الشورى ويقول: أصر الأخ الدكتور حبيب الحق على

أن تجري الانتخابات ليختار الشعب أحد المرشحين الثلاثة.. وقد بدأت الانتخابات كالعادة ابتداء من الأسرة إلى الزقاق إلى الحي إلى المدينة إلى الولاية.. وقد أخبرت معظم الولايات بنتائج انتخاباتها.. وبقيت بعض الولايات.. وقد انصبت ثلاثة أرباع الأصوات على الدكتور حبيب الحق... ويليه الدكتور سليم الدين... ويليه الدكتور حميد الله.. فيمكننا أن نعتبر أن حبيب الحق قد أصبح أمير المؤمنين، فلتبدأ البيعة له منذ هذه اللحظة من مجموع الأمة...

رأى الناس رئيس مجلس الشورى يعانق أمير المؤمنين الجديد حبيب الحق، ويبايعه بعده: سليم الدين وحميد الله.. وراح الشعب كله يبايع حبيب الحق أميرا للمؤمنين...

همجية في ظل الخلافة الراشدة..!؟

فوجئ الناس برئيس مجلس الشورى يقترب في غرفة التلفاز وهو يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ولا زال يقترب حتى ملأ الشاشة فرأى الناس في وجهه غضباً عجيباً... لقد انتفخ وجهه واحمر لونه، وراح يهتز من الغضب ثم قال: يبدو أن آثار الجاهلية الهمجية لا زالت موجودة بيننا بقوة... انظروا إلى هذه الرسالة ماذا يقول صاحبها، إنه يقول:

الأخ رئيس مجلس الشورى.. كيف ترشحون للخلافة رجلا من السود.. ألم يبقَ في دولة الخلافة الراشدة من البيض أحد.. لا أقبل أن يكون رئيسي من

الزنوج السود..

ضجت الدنيا بالغضب، وأحنى أمير المؤمنين رأسه وهو يبتسم ابتسامة ساخرة،...

قال رئيس مجلس الشورى: يبدو أن صاحبنا قد نسي أعظم ما في ديننا من عدل.. نسي أن رسول الله يقول: «**لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**».. ونسي قول الله تعالى: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**..).

ظهر رئيس مجلس إدارة المظالم، وقال: أرجو أن يوضع هذا الرجل تحت إشراف القضاء.. ويعرض على لجنة طبية.. فقد يكون مجنونا.. فإذا تأكد القاضي أنه صحيح العقل فأرجو أن يدخل في دورة التربية والتثقيف في أحد معاهد تأهيل المواطنين إسلاميا، وإذا كان قد دخل مثل هذه الدورة فأرى أن يصدر فيه القاضي حكما قضائيا مناسبا...

ظهر رئيس معهد التربية التثقيفية وقال: قد دخل المواطن دورة مناسبة ككل المواطنين، وقد وجدنا في إضبارته أنه يعاني شذوذا في سلوكه مع بعض الغباء..

اتصل القاضي وقال: أرجو أن يوضع في مصحة ثقافية أولا.. وسأرسل إليه أحد معاوني لدراسة واقعه النفسي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي. وسنوافيكم بالنتائج فورا بعد ساعة إن شاء الله..

تكلم مدير معاهد التربية والتثقيف، وقال: لدينا فيلم عن موقف الهمجيات الجاهلية من قضايا العرق واللون، فهل ترغبون أن يعرض على المواطنين؟!!..

أجاب رئيس مجلس الشورى: حسناً.. حسناً يعرض الفيلم فوراً ريثما يأتي تقرير القضاء عن الرجل..

العنصرية الهمجية

رأى الناس شاباً أسود اللون يحاضر في طلابه السود كلهم، والطلاب يقولون: إنه عالم كبير.. اخترع ستة عشر اختراعاً ميكانيكياً، يصافحه الطلاب بحرارة بعد المحاضرة.. يسلم عليه زميل من زملائه، يقول له: أنا جائع.. تعال نتناول بعض الطعام في أول مطعم.. يقتربان من مطعم كبير نراهما متوجهين إلى مدخله، نلاحظ وجود لافتة على المدخل.. يقف الرجلان أمامها غاضبين: نقرأ اللافتة فإذا فيها: ممنوع دخول الكلاب والسود. يقول المحاضر لصاحبه: لندخل ولنرى ماذا سيفعلون.. يدخلان، فيحاول الخدم منعهما.. لكنهما يدخلان بالقوة، ويجلسان على إحدى موائد الطعام.. لكن مدير المطعم يتدخل، يقترب منهما ويصرخ بهما: هيا اخرجا.. وإلا ضربتكما.. وهو يحمل مسدسه بيده، لكنهما يرفضان.. عندها يشير إلى خدمه فيسرعون إليهما.. ويحملونهما رغما عنهما ويلقونهما في الشارع، يتصلون بالبوليس.. فيتدخل البوليس ضدهما.. ويساقان إلى مخفر لمعاقبتهما؛ لأنهما دنسا مطعم البيض، يجلس الاثنان في السجن ويكاد الغضب يقتلهما، يقول المحاضر لزميله: لقد أعرضت عني جميع شركات الميكانيكا في الولايات المتحدة، ولم تأخذ باختراعاتي لأنني أسود.. ومن بعيد يسمعان صراخا عاليا، فينظران من النافذة فيريان تظاهرة من طلابهما السود أتوا محتجين على سجنهما، لكنهما يلاحظان أيضا أن

البوليس قد أقام المتاريس خارج المخفر... فلما وصل الطلبة هددهم البوليس أنهم إن لم يتفرقوا فإنه سيطلق عليهم النار، فصرخوا نريد الدكتور وزميله.. وانطلقت النيران لتحصد معظم الطلبة.. وهجم الباقون فذبحوا بعض الشرطة، وأخرجوا الأستاذين، واختطفوا الأسلحة.. وراحوا يرمون البوليس بالنار.. وبعد أقل من ساعة طوقت قوات الجيش الجامعة. واعتقلت معظم الأساتذة والطلاب.. وأغلقت الجامعة، وخرجت الصحف تقول تحت عنوان: السود الوحوش يمارسون جرائمهم، اقتحم زنجي شديد سواد البشرة مطعما للبيض فاقتيد إلى الشرطة، فحضر بعض السود وأخرجوه عنوة، وقتلوا بعض الشرطة البيض بالخناجر، فأغلقت حكومة الولايات المتحدة الجامعة..

توقف الفيلم فجأة وانتقل إلى جنوب إفريقيا.. فإذا بنا نرى مدن البيض ذات العمارات الشاهقة، والنظافة التامة، مكتوباً على بواباتها ممنوع دخول السود، وتنتقل الصورة بعدها إلى أحياء فقيرة مكتوب على أولها: انتبه.. هنا أحياء السود.. يعبر قطار مكتوب عليه قطار البيض.. ندخل منجما فنرى عاملين عاملاً أبيض، وعاملاً أسود.. نرى إنتاج الأسود ضعف إنتاج الأبيض، لكن إدارة المنجم تعطي الأسود نصف ما يأخذه الأبيض من أجر..

يقول المذيع: إن ما رأيتموه من همجية هو بسيط بالنسبة لما جرى حول العنصرية والعرقية، يكفي أن تعلموا أن حربا عالمية دمرت العالم قامت أتدرون لماذا؟! تعالوا فانظروا:

نرى هتلر يرفع يده ويقول: ألمانيا فوق الجميع.. فتهتف الحشود بالملايين تحية له...

ثم نرى تشرشل يعلن: نحن فوق الجميع.. ويصرخ موسوليني: إيطاليا فوق الجميع.. ثم نرى المعارك تحتدم، والملايين يقتلون، والدمار يعم أوربا وآسيا..

يقول المذيع: انظروا إلى هؤلاء المتوحشين.. لقد قال لهم الإسلام قبل ذلك بثلاثة عشر قرنا أكثركم علما واستقامة وخلقا هو أفضلكم.. فلم يفهموا.. إنهم شر أنواع الهمج..

رن هاتف التلفاز فأسرع المذيع ورفع السماعة فظهر القاضي يقول: إن الأخ جهام عنده بعض الاضطرابات النفسية، إلى جانب أنه مسن جدا فعمره مائة وستون سنة، فهو من الذين عاشوا بعض حياتهم في ظل الهمجيات الماضية، لكن وجدناه حسن الإيمان، مشهودا له بالخلق الكريم.. فبحثنا عن السبب الحقيقي في بيئته الاجتماعية فوجدنا له جارا زنجيا سيئ الخلق يشكو أهل زقاقه كلهم منه.. وهم لا يرفعون أمره إلى السلطة حرصا عليه.. لذلك فإننا نعتقد أن غضب الأخ جهام من جاره الأسود هو السبب في نفوره من السود.. وقد قرر الأطباء النفسيون قرارا سنعمل به، ونعطيكم النتيجة بعد شهر على الأقل.. لنعرف ما إذا كان هذا هو سبب رأي الأخ جهام أم غيره.. على كل حال سيمضي الأخ جهام شهراً في معهد التربية النفسي، في جو جميل.. نطمئن المواطنين أن يدا لا يمكن أن تمتد إلى الأخ جهام.. لكن حالة مرضية قد ألمت به.. سنعالجها بنجاح بإذن الله.. ونعلم الجماهير بالنتيجة فورا.. وقد نأخذ كل يوم خمس دقائق من وقت التلفاز نعرض فيه نتائج اليوم مع جهام..

رن هاتف غرفة العرض، وظهر رجل غاضب، قال: أرجو أن يتدخل مجلس إزالة المظالم لإيقاف ذلك الرجل الذي يؤذي جاره، كما أرجو أن يوقف القاضي جميع أهل زقاق الأخ جهام؛ لأنهم لم يتخذوا الإجراءات الكافية

لإيقاف أذى ذلك الجار.. إن أذاه قد أدى إلى مشكلة عامة على مستوى الأمة كلها.. أدى إلى عودة النظرة العرقية الهمجية إلى الناس.. وهذا شيء مخيف..

همس القاضي: أنت على حق.. لكننا لن نفعل شيئا مع أهل الزقاق حتى تظهر نتيجة التحقيق، أما الجار المؤذي فإننا قد أحضرناه.. ونحن الآن نحقق معه لنعرف سبب إيذائه لجيرانه.. هيا إلى التحقيق...

ينتقل التلفاز فوراً إلى غرفة القضاء، فترى الأمة كلها زنجياً أسود طويل القامة تبدو عليه البساطة، يقول: عندما سكنت في زقاق بني سوردون انتظرت أن يعاملني إخواني كما أعاملهم.. لكنني لاحظت أن بني سوردون هؤلاء، وهم من الجزيرة البريطانية.. لا يعيرونني مواعينهم إن احتجت إليها، وماذا أحتاج؟!.. إلى مطرقة.. أو بعض أدوات خفيفة.. لم أعرف لماذا لا يعيرونني.. وبعد ذلك علمت أنهم من أبناء أسرة واحدة مات معظم أجدادهم في معارك خاضها الإفريقيون السود من قبيلتنا ضد المستعمرين الإنكليز.. كان أجداد جيراني من قادة جيوش الاستعمار الإنكليزي.. إنهم لم يذكروا لي السبب.. لكنني أظن أن هذا هو السبب.. لماذا إذاً لا يعيرونني بعض مواعينهم ونحن إخوة؟! فصرت أنا أسلم عليهم بجفاف، ولا أبادلهم الزيارات، فصاروا هم لا يزورونني إن مرضت، وتطور الأمر فصرت أقابلهم بالنفور، ويقابلونني بالنفور.. ثم صاروا يسخرون مني ويعلمون أطفالهم كي يسخروا مني، فصرت أشتمهم.. وأؤذيهم ما استطعت.

عجب الناس أشد العجب لما سمعوه، وتساءلوا: ما هذه الأخلاق الهمجية الجاهلية.. حدث كل هذا الشر.. ولم يعلم به أحد؟!

تابع الزنجي: صرت أكره كل جيراني.. إنني لا أكره الأخ جهام.. لكنني ولأنني كرهت جيراني فإنني صرت أعامله كما أعاملهم.. كان في العادة يكلفني ببعض الأعمال كشراء بعض الخضار ورمي بعض النفايات، وشراء بعض الصحف.. ودفع بعض الضرائب.. فلما شعرت أنه يشارك جيرانه السخرية بي أهملته.. فصار يطلب من جيرانه أن يعينوه، فصاروا يرسلون له أولادهم.. لكن أولادهم قد اعتادوا السخرية بي، وما كنت أطيق على ذلك صبراً.. فصرت أطردهم حين يأتون إلى جاري.. وضربت بعضهم لأنهم شتموني، فصار جاري الكبير يشعر بالضرر، قلت له: إن منعت أطفال جيرانك أن يسخروا مني تركتهم لك.. لكنهم لم يكفوا عن سخريتهم.. فشددت عليهم الأذى.. وبكى.. فأبكى الناس كلهم ثم مسح دموعه وتابع.. وأنا لا أدري ماذا أفعل؟! أعرف أن إيذاء الجار يغضب الله، لكنهم آذوني.. وهدروا كرامتي.. أرجوكم أعطوني بيتاً خارج هذا الزقاق وخذوا بيتي، أرجوكم خلصوني من غضب الله.. وبكى بكاءً مراً.

ظهر رئيس مجلس إزالة المظالم والغضب يقطر من وجهه.. قال وهو يكظم انفعاله: أرى أيها الأخ القاضي أن في هذه القضية انحرافات خطيرة ابتدأت برفض إعارة المواعين لعبد الرحمن أدى ذلك إلى توقف بعض العلاقات الأخوية، كالجفاف في السلام، وعدم تبادل الزيارات عند المرض، ثم النفور، ثم السخرية، والشتيمة، والإيذاء واشتراك الأطفال بذلك مما يؤدي إلى فساد تربيتهم.. وكل ذلك أدى إلى وجود أذى الجار والشعور بإهدار الكرامة، واسوداد الحياة..

كل ما سبق خطير.. إن استمرار هذه الجرائم يعني تدمير علاقات الأخوة

بين المؤمنين.. إذا زالت الأخوة حلّت محلها الأثرة، والكره، وبالتالي يتنافر المجتمع ويختصم أبناؤه يتلو ذلك تنازعهم، وبعدها دمار المجتمع وهلاكه.. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم..

ظهر رئيس مجلس إزالة المنكرات وقال: إن الأمر خطير حقاً.. ونحن سنقدم كل إمكاناتنا لإزالة كل هذه المنكرات.. قبل أن تفشو وتنتشر..

ابتعد الجميع عن شاشة التلفاز حين أخبروا أن أمير المؤمنين آت من قليل.. دخل أمير المؤمنين، وقال: بسم الله والصلاة على نبيّه..

يعزل حي بني سوردون عزلاً كاملاً.. أوجّه ندائي إلى جميع ولايات الخلافة.. أقول لهم: أرجو أن ينبثّ جميع أعضاء مجلس إزالة المنكرات، ومجلس إزالة المظالم، ومجالس علوم الإحصاء وعلوم النفس، وجميع الباحثين الاجتماعيين، وجميع رجال الشرطة في أحياء دولة الخلافة كلها.. ويقدموا تقريراً عن الحالة الاجتماعية والنفسية لكل أمة.. فرداً فرداً.. للوقوف على كل انحراف وإعلام الدولة به فوراً.. لأن ما حدث في حي بني سوردون إذا تكرر وفشا فإنه يهدد دولة الخلافة الراشدة كلها بالتفكك..، أرجو أن يصلني تقرير مفصل عن ذلك كل أربع وعشرين ساعة..

أرجو أن يخيّرَ جهام في نهاية التحقيق بين أن يعيش في مؤسسة اجتماعية تؤمن له جميع الخدمات.. أو أن يعطى موظفاً يخدمه..

وأوجّه ندائي إلى جميع قادة الولايات أن يعطوا كل من تماثل حالته حالة جهام موظفاً يخدمه، أو أن ينقل إلى مؤسسات اجتماعية تؤمن لهم حاجاتهم كلها.. وأوجّه خطابي إلى كل مواطن أن كل من يعاني تنغيصاً من أي نوع فإنني أطلب إليه أن يتقدم بالإخبار عنه فوراً إلى اللجان التي ستنتشر بين

المواطنين وإن شاء فليكتب بذلك إليّ؛ لأن الله قد كرّم بني آدم.. وحرّم أن يعيشوا منغصين تعساء..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وغادر قاعة البث..

همس المذيع: إلى العمل أيها المؤمنون.. أزيلوا كل ما يخالف منهج الله ورسوله.. ابعدوا عن مجتمع الخلافة الراشدة كل انحراف.. أتوجه إلى الذين يعملون في المشاريع: زيدوا إنتاجكم في غياب إخوانكم الباحثين حتى لا تفوتنا فرص النمو المقررة.. وأتوجه إلى الباحثين: أتقنوا أعمالكم وبأقصى سرعة..، وأتوجه إلى كل مواطن: أعينوا الباحثين بكل ما تستطيعون حتى ينجح العمل المنوط بهم..، يجب أن نصفي جميع آثار الهمجيات الجاهلية..، يجب أن نحافظ على سعادتنا في ظل دولة الخلافة الراشدة..، يجب أن تستمر دولة الخلافة الراشدة حتى يسعد الإنسان.. ويرضى رب السماء..، اللهم، لا تحرمنا خيرك.. ولا تبعدنا عن صراطك المستقيم..

فهتفت الأرض كلها: آمين.. آمين..

همس المذيع: والآن أستودعكم الله.. إلى الغد إن شاء الله..

--

أيها الإخوة برنامجنا اليوم في أربع نقاط..

- متابعة التحقيق مع الأخ جهام والأخ عبد الرحمن.
- ومتابعة ما يجري مع حي بني سوردون.

– ومتابعة ما يجري في قضية كبار السن من المؤمنين الذين يجب أن تقدم لهم الخدمات فوراً..

– ومتابعة أعمال الباحثين في الأرض كلها..

– ومتابعة عرض بعض الجوانب الجاهلية إن أتيح لنا وقت مناسب..

أما جهام.. فأخباره طيبة والحمد لله.. تعالوا ننظر إليه في المعهد النفسي أولاً..

جهام يصحو

ظهر جهام في حديقة مملوءة بالأزاهير.. وحوله أربعة أطباء بشرتهم سوداء يلاطفونه.. واحد يحادثه بمودة عظيمة، وثان يناوله طعامه، وثالث يقدم له باقة من زهور.. ورابع ينتظر أوامره، كان جهام يحبهم جداً.. ويشعر بالسعادة كأنه ابن عشرين سنة..

قال له واحد منهم: طلبت من إدارة المعهد أن يأتوك بطبيب آخر بدلاً مني..

فتوقف جهام عن طعامه وامتعض وقال له: لماذا يا أخي.. هل آذيتك.. لا أريد غيرك..

قاطعه الطبيب: قلت لهم كي يأتوك بطبيب أبيض.. فاحمر وجه جهام خجلاً وقال له: إن أكرمكم عند الله أتقاكم يا بني، وهل هناك فرق بين الأبيض والأسود أرجوك ابق معي..

ضحك الأطباء الأربعة، وضحكت الأمة كلها..

ظهر المحلل النفسي، وقال: وهكذا يتبين لنا أن موقف جهام السابق حين طلب أن يكون أمير المؤمنين أبيض البشرة كان يتأثر بما يجري بينه وبين الأخ عبد الرحمن، من أذى..

رن هاتف التلفاز فرفع المذيع السماعة فظهر شخص قال: هل يمكن أن نستنتج أن المواقف الأخلاقية التي تحيط بالمرء تؤدي إلى مواقف فكرية معينة..

أجاب الطبيب: هذا شيء محتم.. فحالة الإيذاء التي لحقت بجهام اقترنت بشخص المؤذي الذي كانت بشرته سوداء، فصار يتصور، لسذاجته، أن السود كلهم سيئون.. وتطور موقفه ذلك إلى تبني سلوك جديد ينافي قاعدته الفكرية الإسلامية، هذا الموقف هو الموقف الجاهلي من ألوان البشرة التي تتلخص أن الأبيض أفضل من الأسود.. ولشدة ضيقه تبنى موقفاً سلبيّاً حين طلب ألا يكون أمير المؤمنين من الذين لهم بشرة سوداء.

الطبيب: سنستمر في العلاج لمدة شهر.. وسيكون أحد أقسام العلاج أن يعيش عبد الرحمن مع جهام جارين لمدة أسبوع.. على أن تسود بينهما علاقات الأخوة الإسلامية.. لتزول آثار إيذاء كل منهما لأخيه نهائياً.. وسنخبركم بذلك في حينه، والأمر بعد ذلك للقضاء يتصرف وفق ما تمليه شريعة الله، شريعة العدل. والسلام عليكم ورحمة الله..

ظهر المذيع وقال: أما قضية عبد الرحمن فتعالوا انظروا ماذا جرى له..

يظهر عبد الرحمن مع القاضي في حي سكني جميل يطل على نهر يشق طريقه ضمن بساتين رائعة الثمار مملوءة بالأزاهير ويظهر حوله مجموعة من جيرانه، يقول له القاضي: كيف جوارك يا عبد الرحمن؟

فيجيبه: الحمد لله.. هم من أفضل الناس.. لقد شعرت بالكرامة بينهم..

سأل القاضي الجوار: كيف جاركم الجديد؟ فقالوا: صالح والحمد لله.. قال القاضي لعبد الرحمن: ستدخل دورة في معاهد التثقيف العلمي، موضوعها: (كيف تتخذ موقفاً صحيحاً حين يرتكب الآخرون معك عملاً خاطئاً).. تدوم شهراً كاملاً.

ظهرت بوادر القلق على وجه عبد الرحمن.

فسأله القاضي: أراك قلقاً، هل أستطيع معرفة سبب قلقك؟!

قال عبد الرحمن ووجهه يقطر بالأسى: إنني يا سيدي لا أملك ما أنفقه طوال هذه الفترة إلا بعض ما ادخرته لزواجي..

قاطعه القاضي: ألا تعرف أن راتبك سيستمر خلال فترة تثقيفك؟ هذا نظام البلاد يا عبد الرحمن.. ثم إن كنت لا تملك تكاليف الزواج قدمناها لك..

ابتسم عبد الرحمن، وقال: الحمد لله يا مولاي القاضي.. لماذا تعاملوني بكل هذا اللطف؟..

أجابه: كل مسلم يعامل هذه المعاملة، ولست وحدك الذي نعاملك هكذا.. هكذا أمرنا الله يا عبد الرحمن.. والآن هذه بطاقة لك للالتحاق بدورة التثقيف وسألقاك بعد شهر.. إن شاء الله..

بنو سُوردُن يجب تربيتهم

ظهر المذيع وقال: أما بنو سوردون فتعالوا ننظر ماذا يجري لهم:

نرى شارع بني سوردون محاطاً برجال الشرطة، في أول الشارع علقت

لافتة، واجهتها إلى داخل الزقاق، مكتوب عليها: نرجو أن يبقى جميع سكان الزقاق في بيوتهم اليوم، وستتكفل الدولة بدفع جميع ما يخسره إخوة هذا الزقاق من موارد نتيجة لذلك..

كان يقف أمام كل بيت فرقة مؤلفة من باحث، وباحثة، وممرضة، دخلت كل فرقة إلى بيت، أما الباحث فاجتمع بالرجال والشباب والفتيان البالغين، وأما الباحثة فاجتمعت بالزوجة، وبناتها الكبار، وأما الممرضة فالتفتت إلى الأطفال كي تعتني بهم خلال فترة انشغال كبار الأسرة مع الباحثين، بعد أن أمضت مع ربة البيت نصف ساعة دلتها على أقسام البيت وأماكن الأمتعة، ونظام الأطفال من ناحية الطعام والنظافة واللعب والاستحمام والتدريس.

في نهاية اليوم ثبتت جميع أقوال عبد الرحمن.. أن رجال بني سوردون وأطفالهم كانوا يسخرون منه، وأنهم لم يعيروه مواعينهم، وأنهم صاروا يعاملونه بجفاء ولا يزورونه حين يمرض.. وتبين فعلاً أنهم من أصول إنكليزية، منحدرون من غجر تلك البلاد.. وأنهم كانوا قد أسلموا مع آخر من أسلم.. إنهم لم يدخلوا أية دورة من دورات التعليم والتثقيف بالإسلام.. لأن مؤسسات التثقيف قد امتلأت ولم تتسع بعد لدخول مئات الألوف من غير المسلمين في الإسلام.. وأن دورهم في التثقيف سيكون بعد ستة أشهر.

اتصل رئيس مجلس إزالة المنكرات بأمير المؤمنين وذكر له النتيجة، واقترح عليه أن تفتتح معاهد جديدة، أو يرسل هؤلاء وغيرهم ممن لم يدخلوا دورات تثقيف علمية وعملية إسلامية بعد دخولهم الإسلام إلى ولايات أخرى فيها متسع لهم..

عرض أمير المؤمنين اقتراحاً على مجلس الشورى أن يسمح له بإصدار

تشريع يتضمن استيعاب جميع المؤمنين فوراً في معاهد التثقيف العلمي والعملي الإسلامية، حتى لا يصاب المجتمع الإسلامي بتلوثات أخلاقية خطيرة نتيجة لذلك.

وحكم القاضي على بني سوردون أن تعايش كل أسرة منهم حياً إسلامياً كاملاً ولمدة ستة أشهر.. بعد أن يتخرجوا من دورات التثقيف حتى يتقنوا الحياة الإسلامية عملياً.. وبعدها يعودون إلى حيّهم الخاص إن شاؤوا..

لم يجد الباحثون أية ثغرة في حياتهم نتجت عنها تلك المساوئ.. فهم مُكْتَفون مادياً، وجميع شبابهم متزوجون وجميع بناتهم البالغات متزوجات، والتعليم مفتوح أمامهم حسب خطة الدولة وكفاءاتهم، وبيوتهم صحية ومناسبة لحجم كل أسرة، وهم محميون من كل ظالم.. وليس لهم أية شكوى من موظفي دولة الخلافة الراشدة..

بيَّن لهم القاضي أنهم إن ارتكبوا أية مخالفات لشرع الله في المستقبل بعد دخولهم دورات التثقيف، وعيشهم في المجتمع الإسلامي.. فإنهم سيؤاخذون بعنف.. أما الآن فلن يوجه إليهم أية عقوبة لأنهم حديثو عهد بالإسلام..

أصدر أمير المؤمنين أمره إلى الولايات في الأرض كلها أن يهتم الباحثون أول ما يهتمون بالذين دخلوا الإسلام حديثاً.

كما أصدر أمراً آخر لدراسة جميع عادات غير المسلمين وتقاليدهم وأخلاقهم فوراً.. وموافاته بتفاصيل ذلك بدقة، لاتخاذ الإجراءات اللازمة تجاه كل انحراف يؤدي إلى الإضرار بجميع الخلافة الراشدة على أن لا يتخذ أي إجراء ضد غير المسلمين قبل اتخاذ القرارات اللازمة بذلك من قبله ومن قبل المجالس المختصة حتى لا يصاب أي مواطن بأذى.

ظهر المذيع وقال: الحمد لله.. هذه نتائج رائعة لقضية بني سوردون.. إن أمير المؤمنين ينفذ برنامجه من أول يوم.. في تتبع بقايا الجاهلية الهمجية في مجتمع الخلافة الراشدة تمهيداً لتصفيته منها حتى يتوفر للإنسان غاية الكرامة والعدل..

المسنّون يُكرّمون

والآن إلى القضية التالية: سنتابع موضوع منح المسنين الخدمات اللازمة كما أمر أمير المؤمنين.. سنذهب إلى ولاية الشام لنتابع منها ما يجري لتحديد المسنين الذين يحتاجون إلى الخدمة، وما سوف يقدم لهم من خدمات.. هيا لنرى..

نرى أمير ولاية الشام في حالة اجتماع مع مجموعة من كبار العلماء المختصين في علم النفس، وعلم الإحصاء، وعلوم الشيخوخة، والصحة، والتغذية، والخدمات، مع مندوبين عن مجالس إزالة المنكرات، ومقاومة المظالم، ورئيس مجلس شورى الولاية، ورئيس المؤسسات الاجتماعية، ومجموعة مديري الأحياء..

قال أمير الولاية: إن قانون حماية المسنين معمول به منذ زمن طويل.. منذ قامت الخلافة الراشدة، لكن يبدو أن بعض الحالات قد حدثت دون أن نستطيع التعرف عليها، وذلك بسبب بعض الثغرات في التنفيذ. إن الله سبحانه يقول: (**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**) إن الحض على طعام المسكين، ومنه حمايته حين عجزه

وخدمته وتكريمه هو واجب السلطة، وواجب الجار، وواجب كل من عرف به.. كل هؤلاء يجب أن يسعوا للحض على طعام المسكين، أي لإزالة حالة المسكنة من حياته. وهذا يقتضي إجراءات دقيقة، أن نبلغ جميع سكان الولاية، أن كل جار مسؤول عن جاره، عليه أن يبلغ عنه إن بلغ سن الشيخوخة واحتاج إلى معونات الدولة، هذا ما كان معمولاً به سابقاً.. لكنني أرى أن هذا الإجراء لا يكفي.. فقد يهمل الجار، كحالة بني سوردون، فما هو العمل في رأيكم؟

رفع رئيس قسم علم الإحصاء في الولاية يده وطلب الكلام، فقال له الأمير: تفضل، فقال: إن لدينا إحصاءات كاملة عن عمر كل إنسان في ولايتنا.. أرى أن نستخرج كل من يزيد عمره عن الخمسين عاماً ونستقصي حالاتهم تماماً من قبل أمراء الأزقة، وأمراء الأحياء، وأمراء القرى الصغيرة، وأمراء المدن، فوراً..

رفع رئيس المؤسسات الاجتماعية يده: وقال: أنا أؤيد أخي رئيس مجلس الإحصاء، وأضيف إليه أن استقصاءات مستمرة يجب أن تجري اعتماداً على الإحصاءات الموجودة لدينا لاستدراك كل من يبلغ سن الخمسين..

قال أمير الولاية: حسناً هذان اقتراحان مقبولان.. سينفذان فوراً.. لكن أرى أن بعض حالات العجز قد تحدث عن أناس ينقص عمرهم عن الخمسين.

رفع أمير حي الميدان يده، وقال: أرى أن أمير الزقاق عليه واجب الإخبار عن كل حالة عجز تحدث لجميع الأعمار فور حدوثها، وهذا يمكننا تماماً من السيطرة على كل حالات العجز الجديدة.

ابتسم أمير الولاية وقال: دائماً يقدم لنا حي الميدان بعض بركاته.. يبتسم

الجميع ويتابع أمير الولاية: أنا موافق على اقتراحك.. ننتقل إلى نقطة ثانية: ما هي الخدمات التي نقدمها لكل عاجز حين العثور عليه؟..

أجاب رئيس قسم علوم الشيخوخة: جميع الخدمات المادية، والصحية، والفكرية، والنفسية التي تكفل له حياة كريمة وتوفر له مشاركة كاملة في مسيرة المجتمع الإسلامي.. فنحن نكفيه عجزه، ونبقيه مفيداً للأمة في الجوانب التي يستطيع أداء دوره فيها كعضو نافع في مجتمع الإسلام العظيم..

أمير الولاية يقول: عظيم.. عظيم.. والآن إلى العمل.. بناء على ما اتفقنا عليه.. سنحدد لكل زقاق فرقة من ثلاثة أعضاء، باحث، وباحثة، وممرضة، مهمتهم معروفة.. على أن يوافونا مجالات العجز فور التعرف عليها لاتخاذ الإجراءات اللازمة بشأنها.. والآن إلى التنفيذ..

ينتقل التلفاز فوراً إلى فرقة عمل تدخل زقاق الأنصاري الثالث في دمشق، يستقبلها أمير الزقاق، يقول له رئيس الغرفة: لديك في هذا الزقاق عشر رجال ونساء يزيد عمرهم عن الخمسين سنة، وهذه قائمة بهم.. نريد أن نراهم واحداً إثر واحد..

يبتسم الأمير الزقاق ويقول: أهلاً بكم.. تفضلوا.. في البيت رقم (٩) يوجد عبد الحق شاكر، وزوجه شهامة بدر.. تفضلوا.. يضغط زراً على باب البيت رقم (٩) فيظهر على شاشة صغيرة قرب الزر صاحب الدار يقول: أهلاً بالأمير أبي كريم.. خيراً..

يجيبه: نريد زيارتك وزيارة أهلك..

أهلاً تفضلوا.. يضغط زراً فينفتح الباب، ويدخل الأربعة.. ويكون في استقبالهم عبد الحق.. يدخل الباحث إليه، وتدخل الباحثة إلى زوجه شهامة

بدر، وتسألها الممرضة هل لديكم أولاد، فتقول: نعم، لكنهم كلهم كبار، وهم في أعمالهم، في المدارس أو الجامعة، تقول لها: حسناً.. ماذا يحتاجون من خدمات لأهيئها لهم لأن الباحثة ستلهيك.. تقول: حسناً.. البيت يحتاج إلى ترتيب.. والطبخة جاهزة إلا أنها بحاجة إلى إكمال.. والغسيل قد بدأت به.. لكنني لم أضع العيارات اللازمة من الماء والصابون، ولم أغير مكواة الغسالة، ولا النشافة، أرجوك أكملي ذلك. تكتب الممرضة كل كلمة قالتها شهامة، وتذهب لأداء ما قالته، وتدخل الباحثة مع شهامة بدر.. تجلسان.. وتخرج الباحثة بطاقة تكتب عليها.. أرجوك يا أخت: إننا نعلم أن دخل زوجك يزيد على خمسة آلاف دينار في السنة.. فهل يكفيكم هذا؟..

تقول شهامة: يكفينا ويزيد علينا.. ونحن ندفع الزكاة لصندوق الزكاة..

حسناً.. هل تشعرين أنك بحاجة إلى رعاية صحية خاصة لا تستطيعين الوصول إليها؟

تقول شهامة: أبداً.. أبداً.. ففرقة الزقاق الصحية تكفينا كل شيء.. تشخيصاً ومداواة..

تقاطعها: حسناً، هل تعانون من بعض الاضطرابات النفسية؟

تجيب شهامة: أقول لك الحق، إنني أشعر بالقلق على مصيري يوم القيامة إنني أشعر أنني لم أستكمل تعلمي لكل السنّة النبوية، أخاف أن أكون مقصرة في تطبيق بعض الأمور فيحاسبني الله عنها.. أرجوك كيف أستدرك ذلك؟

تجيبها الباحثة بعد أن تسجل كلامها على آلتها الخاصة: هذا أمر سهل.. تنتسبين إلى دورة لدراسة السنّة لمدة سنة؛ لتطلعي بشكل منهجي على جميع

السنة، وليدلك العلماء على أساليب التطبيق لكل حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تسأل شهامة: حسناً.. لكنني لا أستطيع أن أترك بيتي..

فتجيبها إن لم تستطيعي أن تدفعي أجور ممرضة، فدولة الخلافة الراشدة ترسل لك ممرضة تهيء لك كل السعادة في بيتك عند غيابك.. وغياب زوجك وأولادك البالغين..

تفكر شهامة وتبتسم ثم تقول: لا.. لا.. إني أغار.. وقد يفكر زوجي بالزواج من هذه الممرضة التي ستدخل بيتنا.. قولي: ألا أستطيع أن أرى الدورة على إحدى قنوات التلفاز؟

تجيبها: طبعاً هذا ممكن..

هذه بطاقة بمواعيد وقنوات دورات السنة.. يمكنك الاستفادة منها..

تقول شهامة: سلمت يداك يا أخت لقد أرحت قلبي والله..

تقول الباحثة: حسناً هل تشعرين بضرورات علمية غير الاطلاع على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وهل هناك كتب لا تستطيعين الحصول عليها؟!..

أجابت شهامة: أبداً.. أبداً.. فكل شيء ميسر والحمد لله..

تقول الباحثة: هل لك حاجة من أي نوع تريدين تحقيقها؟!

تجيبها: لا أشعر الآن بأية حاجة والحمد لله.. وإن حدث ذلك.. ولم أستطع تحقيق هذه الحاجة بنفسي، فسوف أخبر أمير الزقاق.

تقول الباحثة: حسناً.. السلام عليكم.. تخرج من الغرفة.. وتأتي الممرضة ويخرج الباحث وقد انتهى من مقابلته أيضاً.. إلى بيت آخر..

يقول المذيع: الحمد لله رب العالمين.. أيها الإخوة هذا نموذج من تنفيذ برنامج حماية العاجزين الذي أمر أمير المؤمنين به.. فلتهنأ نفوسكم.. ولتحمدوا الله على ما أنعم به عليكم..

يخطر على بالي أن أريكم صورة لحالات الإنسان في ظل الهمجيات السابقة.. فهل توافقون؟

ترن أجراس الهواتف في غرفة العرض.. فيرفع بعضها ويرى صور المواطنين يقولون: نوافق.. نوافق..

يقول: حسناً.. تعالوا نشاهد كيف كان الهمج يعيشون..

الإنسان في ظل الهمجيّة

يرى الناس صورة لعشرات الناس مرميين على الأرصفة، يقول المذيع: هنا ما كان يسمى بنغلاديش.. إن هؤلاء قد ماتوا من الجوع.. ثم تنتقل الصورة إلى مكان آخر يرى فيه مئات العمال يحمّلون بواخر وقطارات بالحبوب.. تسير باخرة فيتابعها التلفاز.. تصل إلى وسط البحر فتلقي بحمولتها من القمح فيه.. يقول المذيع: هنا أمريكا.. إن شركات القمح والحكومة الأمريكية والكندية تتلف ألوف الأطنان من القمح لتحافظ على أسعاره العالمية.. وأولئك المساكين يموتون من الجوع..

تنتقل الصورة إلى مكان آخر.. نرى معامل أسلحة ضخمة.. ولا تزال صورة المعامل تعرض.. حتى نصل إلى غرفة مكتوب عليها المدير العام.. نرى داخل الغرفة مدير الشركة مع مندوب من وزارة الدفاع يقول مدير الشركة:

إن الحروب يجب أن تستمر في العالم حتى لا تتوقف معامل السلاح عن العمل..

يجيب مندوب وزارة الدفاع: لكن القتلى قد جاوزوا الملايين؟!

يجيبه: وماذا يهم.. كل ذلك في سبيل هيبة أمريكا.. وإذا أردتم توقيف الحروب فاشتروا معاملنا..

يجيبه: حسناً سنفعل..

تعالوا نشاهد بلاداً أخرى.. البلاد الشرقية.. ماذا ترون: يرى الناس رساماً يرسم رسوماً رائعة، فلما انتهى ذهب إلى نقابة الفنانين وقال لهم: عندي مجموعة لوحات، أحب أن أعرضها على الجماهير في معرض..

يجيبه مدير النقابة: حسناً.. أهلاً بك، أنت رسام عالمي، سنراجع وزارة الفنون لنطلب منها السماح لك بذلك..

قال الفنان: وزارة الفنون ستجيبنا بعد ستة أشهر؟.. ألا يمكن أن تسمح لي أنت بذلك دون الرجوع إلى الرقابة؟ ولوحاتي يمكن أن تراها ليس فيها شيء.

أجابه: أتريد أن تضعني في السجن.. هذا مخالف للنظام.. والقانون..

صاح الفنان: مخالف للنظام!! مخالف للقانون!! لا أدري ما هو الخطر الذي سيهدد الدولة إن عرضت بعض لوحاتي الفنية في متحف أو معرض أو دار سينما.. لا أدري.. لا أدري.. إنّ هذا فظيع.. عليّ أن أنتظر ستة شهور حتى يأتي الرد.. ما هذه الحياة؟!

وقف مدير الفنون وقال له: أرجوك لا تتصرف هكذا.. إنك تعرض نفسك للخطر..

يجيبه: الخطر.. الخطر.. وهل سأعيش في ظل ذلك الخطر أتعس مني

الآن.. آكل كما تطعموننني، وألبس كما تلبسوننني، وأسكن حيث تسكنوننني.. وأعمل في المكان الذي تريدون.. ولا أستطيع الحديث بحرية.. ولا أستطيع انتقاد انحرافات النظام.. وأنا مهدد بالخوف والسجن والعذاب إن خالفت ذلك كله.. هل هذه حياة؟! خرج من غرفة نقيب الفنانين.. غاضباً، وألقى بنفسه من الطابق العاشر منتحراً..

خرج الألوف في جنازته.. وعيونهم تبكي عليه، رجع الناس كلهم بعد دفنه، وبقي عند قبره تسعة رجال وامرأة، قالوا: نعاهدك أن نتحدى القوانين التي قتلت نفسك.. ألماً منها، التفت بعضهم إلى بعض وقالوا: سنقيم معرضاً في إحدى الحدائق وليذبحونا بعدها..

قال أحدهم: أرى أن نعلن عن ذلك قبل وقت المعرض بيوم، ويجب أن تكون مواضيع اللوحات كلها تدور حول تكسير القيود بأوضاع مختلفة.. حسناً.. ماذا سترسم أنت يا روفيوف؟

أجابه: سأرسم رجلاً معذباً يضحك وهو يحرق قيود يديه رغم أن يديه تحترق معها..

فقال الجميع: عظيم.. عظيم.. وأنت يا سوركي؟

تجيب: سأرسم جمهوراً هائلاً يكسر بعضهم قيود البعض الآخر.. والأرض مملوءة بالقيود المحطمة..

وقال إيليانوف: أما أنا فسأرسم رجلاً يعض على قيد يديه، وأسنانه قد تكسرت والدم قد سال من فمه.. وهو لا يزال يعضّ على قيوده ليكسرها..

وقال فاشوف: أما أنا فسأرسم رجلاً يشد قيوده بكل عزمه.. جلده قد تمزّق من تحت قيوده وقيوده تتكسّر..

وصاح سمالين: أما أنا فسأرسم رجلاً نائماً يحلم أنه قد عاش بلا قيد..

وقال ميريفيف: وسأرسم أنا قيداً قد شد على عنق رجل حتى خنقه.. وهو يحاول كل جهده أن يتخلص منه.

وقال سوكوفسكي: أما أنا فسأرسم رجلاً ملفوفاً بالقيود.. وقد انتزع بفمه حلقة منها وأكتب تحتها: بعد عشرين عاماً..

وقال مانوف: أما أنا فسأرسم رجلاً له جسم بقرة مربوطاً بسلسلة في بيت من غرفة واحدة مع ثلاثين آخرين.. ولهم سائس يحمل سوطاً ويقدم لهم مجموعة من الألبسة والأطعمة وكلهم يبكون..

أما همانوف، فقال: سوف أرسم يداً سوداء تلف قيداً على يدي مواطن شريف.

وأخيراً قال سمولسكي: سأرسم رجلاً حراً قد كسر قيوده وخلفها وراءه وهو يقول: ما أحلى الحياة بلا قيود؟!..

صاح الجميع فرحين: يا سلام..

هتف أحدهم: يجب أن يودع بعضنا بعضاً فقد لا نلتقي بعد اليوم، أجاب آخر: لا.. لا.. يجب أن نكتم أمرنا حتى نقيم معرضنا.. وهتف ثالث: هيا إلى العمل.. بعد أسبوع واحد فقط يجب أن يكون كل شيء جاهزاً.. ومضت ستة أيام والفنانون يسهرون ليلاً نهاراً ليرسموا لوحاتهم الرائعة.. ثم كتبوا خلال الليلة الأخيرة ما يستطيعون من دعوات للمعرض بخط أيديهم ذكروا فيها عبارات قليلة هي: تعالوا إلى معرض لوحات الحرية.. في حديقة "غوركي" غداً مساءً..

ودهش الناس لهذا النوع من الدعوات، قال بعضهم: إنها صراعات فنانين،

لكنهم حين علموا أن الفنانين هم العشرة المشهورون دهشوا وامتلأت الساحات حول حديقة غوركي منذ صباح اليوم التالي، لكن ليلة ذلك اليوم كانت رهيبة.. استيقظت طوال الليل جميع أجهزة الأمن.. واجتمعت جميع القيادات..، اتخذت قراراً واحداً، اقتلوا الخارجين على القانون، لكن الفنانين كانوا حذرين جداً.. اختفوا وتفرقوا.. وحضروا واحداً إثر واحد بلباس عمال وفلاحين وسخين، ثم أخرجوا لوحاتهم التي أبقوها قماشاً فقط دون براويز خشبية.. حاولوا دخول الحديقة فوجدوا رجال الأمن بالألوف وبأيديهم العصي وخراطيم المياه الساخنة، فبسطوا لوحاتهم وسط الجموع.. وراح الشعب يتأملها..

صفقت الجماهير.. لكن الرصاص لعلع وهرب الجميع.. وسيق الفنانون إلى السجون.. وأحيلوا إلى المحاكم العسكرية.. وصدرت عليهم أحكام بالسجن مدى الحياة لأنهم خالفوا قوانين الإعلام وتحدوا السلطة.. ونشروا منشورات غير مرخصة وعرضوا لوحات تثير الاستياء..

همس عامل لزميله: هل سمعت بقصة الفنانين؟!..

أجابه: إنهم أحرار لا شك..

سأله: متى نكسر قيودنا ونعيش أحراراً؟..

أجابه: قالت اللوحات بعد عشرين عاماً نفك حلقة واحدة من قيودنا..

سأله: هل هذا يعني أن نصبر ونقاوم.. ولو كنا نحتاج للخلاص من قيودنا مئات السنين؟..

أجابه: هذا هو المقصود.. لكن يجب أن نحلم بتحطيم القيود، يجب أن نبذل كل التضحيات ولو أدى ذلك إلى احتراق أيدينا كما قالت اللوحات..

سأله: حسناً.. حسناً.. كيف نعمل برأيك؟..

أجابه: نقاوم خطط الدولة..

سأله: وكيف نقاوم؟..

أجابه: أن نفعل ما نستطيع.. ولو أن نكتب رسالة إلى صديق..

حسناً.. أرى طريقاً آخر.

سأله: وماذا ترى؟..

أرى أن نعمل منذ الآن مع أناس يريدون تكسير القيود.. ثم ندعمهم حتى يصلوا إلى قمة القيادات.. وبعدها قد يتغير الحال.. فما رأيك؟..

أجابه: رائع.. رائع.. لنبدأ العمل فوراً.

صفقت الجماهير للزعيم المنتخب في بلاد التشيك وهو يقول: سأحقق لكم أمراً واحداً هو حرية الصحافة.. انتقدوا الفساد مهما كان.. وحاربوا الانحراف بالطرق السليمة.. نريد أن نبني بلداً قوياً..

صرخ مواطن: نريد جواز سفر لكل مواطن.. هذا أول ما يعبر عن حريتنا..

همس الزعيم المنتخب: أنا موافق..

وصفقت الجماهير.. وخرجت الأمة كلها ابتهاجاً بتكسير القيود..

ابتهج الناس في دولة الخلافة الراشدة لما رأوا.. لكن حدث ما أنساهم فرحتهم..

قال المذيع: انتظروا قليلاً لتروا ماذا سيحدث!..

عند حلول الليل رأى الناس كلهم خمسة آلاف دبابة تهدر.. ونصف مليون جندي يزحفون.. ولكن إلى أين؟! إلى بلاد التشيك ليخلعوا الزعيم المنتخب.. وليمنعوا حرية الصحافة، وليسترجعوا جوازات السفر التي أخذها المواطنون..

وتململت الدنيا.. وتزلزلت الأرض..

نعود لنرى العامل الذي رأيناه سابقاً يقول لزميله: لقد نجحنا في أول مرحلة.. لكنهم سحقونا.. ما رأيك؟!

أجابه: هذه أول حلقه كسرناها.. فلنتابع..

سأله: وكيف نعمل؟!

أجابه: الشعب كله سيعمل.. لقد هربت الكفاءات من بلادنا.. وسيتقهقر بلدنا رغماً عنهم.

سأله: وماذا يفيدنا ذلك؟!..

أجابه: إن كان الحكام مخلصين.. فسيعرفون أن جو الحرية هو جو الإنتاج.. الممتاز.. وأن الإنسان الحر هو إنسان كريم يعمل أكثر.. وينتج أكثر.. ويحب بلده أكثر..

سأله: لكن هل سيفهم الحكام هذا فعلاً؟!.. أم أن مصلحة البلاد كلها لا تهمهم؟!..

أجابه: لا.. لا.. لا بد أن يستيقظوا لأنهم سيعلمون أنهم إن لم يستيقظوا على أساليب العمل السلمي.. فسوف تنتقل الشعوب إلى أساليب العنف.. ستحمل السلاح لتكسر القيود!!..

الباحثون.. ما ألطفهم..!!

قال المذيع: عفواً.. أتاني الآن من أمير المؤمنين الأمر التالي: انقلوا من إحدى الولايات جلسة تتعلق باجتماع يخطط فيه لعمل الباحثين في صفوف

غير المسلمين للتعرف على عاداتهم وتقاليدهم..

والآن نتوجه إلى ولاية مصر.. لننظر ماذا يجري في لجنة التخطيط..

رأى الناس أمير ولاية مصر على مجموعة من القادة: يقول لهم يجب أن نبدأ العمل فوراً لدراسة أوضاع غير المسلمين.. لكنني أريد ضمانات كافية حتى لا يصاب أي مواطن منهم بأي أذى.. فلا يسخر منهم أحد.. ولا تقال لهم كلمة فيها أي شر.. فكيف ترون أن نضمن ذلك؟..

أجابه أحد الجالسين: نعمم بلاغاً على الباحثين أن يتقيدوا بهذا.. ونخبر المواطنين من غير المسلمين أن يخبروا عن أية حادثة إيذاء يصابون بها..

فلما سكت قال آخر: وأرى أن توضع عقوبات رادعة لكل من يفعل ذلك..

سأل أمير مصر: هل ترون أن يمارس الباحثون نوعاً من دعوة هؤلاء إلى الإسلام.. أو لا؟!

أجاب أحدهم: إن كانت دعوة هؤلاء إلى الإسلام بلطف شديد.. فلا بأس.. أقصد يجب أن لا يشعر هؤلاء بأي ضغط عليهم..

قال أمير مصر: حسناً.. جربوا ألف حالة في مختلف أنحاء البلاد وأعطوني النتيجة بعد ساعتين لنعمم ما نراه مناسباً بعد ذلك.. ولنعدل من مواقفنا على ضوء هذه التجربة.

أجاب الجميع: هذا جميل.. إلى اللقاء بعد ساعتين إن شاء الله.

قال المذيع: تعالوا لنتابع إحدى فرق الباحثين في قرية من القرى..

رأي الناس فرقة مؤلفة من ثلاثة: باحث وباحثة وممرضة يدخلون إحدى القرى وكل واحد منهم يحمل حقيبته.. يستقبلهم أمير القرية، قال رئيس الفرقة: إننا نعلم أن سكان هذه القرية يعبدون الشمس والقمر والبقر.. أليس كذلك؟!..

أجابه الأمير: نعم.. نعم.. وأنا على دينهم.. نحن على دين الفراعنة.. ابتسم رئيس الفرقة وقال: فرحت لاعتدادك بدينك وتمسكك به.. تفضل معنا لندخل بيتاً من بيوت القرية لندرس حالتهم.

أجابه الأمير: تفضل.. تفضل.. وأسرعوا معاً.. الطريق معبد، والأبنية تحيط بها الحدائق.. والنظافة شاملة.. ونوافير المياه توشوش، والعصافير تطير في كل مكان مع الفراشات الرائعة الألوان، ونداءات الفلاحين في الحقول وأناشيدهم تملأ الأنحاء..

همس رئيس الفرقة: ما أروع الريف.. إن الحياة فيه بهيجة، قل لي من فضلك: ماذا حققت لكم الخلافة الراشدة..

أجاب أمير القرية والدهشة تعلو وجهه: حقق لنا ما حققته لكل مواطن، بيت نظيف لكل عائلة ومستقل وحوله حديقة، أقل البيوت فيها خمس غرف وبعضها يصل إلى سبع غرف، وزعت لنا الأراضي وقدمت لنا الخبراء، درس الخبراء تربة الأرض، والمحاصيل التي نزرعها، ودورة الزراعة في قريتنا، نصحونا أن نقيم مشاريع واحدة، وقدمت لنا الدولة الآلات اللازمة والبذور على أن نعيد نفس الكميات بعد الإنتاج.. وندفع ثمن الآلات..

بنينا في القرية: معبداً لعبادة الشمس، وخمسين مسلّة، ووزعنا في الحدائق العامة مليون شجرة.. بعد أن تكفلت كل أسرة أن تزرع عشر شجرات ثم تتعهدها بالرعاية حتى تصلب..

في كل حي مشفى صغير، وفي كل شارع كبير عيادة فيها مختلف الاختصاصات ومعها الصيدليات المناسبة، والطب عندنا والدواء مجاني كما تعلم..

فوجئ رئيس الفرقة حين قال الأمير: لكنني لا أعرف من أين تأتي الدولة بكل هذه الأموال!!..

همس رئيس الفرقة: إن ما وفرته الخلافة الراشدة كثير.. كثير.. فما كان الهمجيون يشربون به الخمر كان يبلغ ثمنه (٣٦٠) مليار دولار في السنة، وهذه الأموال وحدها تكفي لإنشاء كل ما قلت من مشاريع في جميع أنحاء الخلافة الراشدة.. فكيف إذا أضفت إلى ذلك ما توفره الدولة من تكاليف الأسلحة والحروب والإنفاق على قوات الأمن وما كان يذهب إلى جيوب اللصوص.. لوجدت أن الدنيا قد أصبحت بألف خير..

همست الباحثة: ثم إنّ الناس أصبحوا فعالين يؤدون واجبهم بنجاح لأنهم مكرمون أحرار..

همس أمير القرية: هذا صحيح.. وأضيف أنا إليه أن ما وفرته دولة الخلافة الراشدة نتيجة الاختراعات الرائعة قد أضاف إلى الثروة العامة أطناناً من الذهب، انظروا مثلاً ما وفره اختراع السيارة الجديدة.. لقد وفر لنا ألوف ملايين الدنانير.. الحق أننا نعيش في نعيم..

همس رئيس الفرقة: كل ذلك لأننا نعيش في ظل دولة العدل التي أمر الله بإقامتها وفق شرعه.

قال أمير القرية: الحمد لله الذي خلصنا من الهمجيات الظالمة..

قال رئيس الفرقة: هل تستطيع أن تحدد لي بعض الهمجيات التي كانت في مصر!؟

أجاب أمير القرية: إن الفراعنة كانوا يستعبدون شعوبهم.. وإن الألوف من المساكين يموتون جوعاً أو إرهاقاً من بناء قبور فرعون ومعابده..

همس رئيس الفرقة: وماذا كان الناس يعبدون في دولة الفراعنة..

تلعثم الأمير وقال: يعبدون.. يعبدون.. فرعون.. يطيعونه.. ويفعلون ما يشاء..

همس رئيس الفرقة: وماذا كانوا يعبدون أيضاً..

لم يجب أمير القرية.

وأجابت الباحثة في الفرقة: كانوا يعبدون الشمس والقمر والبقر..

همست الممرضة.. وهي تتطاير بالدهشة: يعبدون البقر؟!.. أطرق أمير القرية برأسه وقال: ويعبدون الشيطان أيضاً.

همس رئيس الفرقة: صحيح أن شعوب الفراعنة كانت مظلومة.. وعقائدهم كانت فاسدة..

صاح أمير القرية: نحن على عقائدهم..

همس رئيس الفرقة: آسف يا سيدي.. آسف.. أنت حر فيما تعبد.. اعبد البقر أو القمر.. لكن قل لي: الله رباً خير أم البقر أو البشر؟

خجل أمير القرية وهمس: الله رباً خير لا شك.

تابع رئيس الفرقة: حسناً.. حسناً.. لنترك هذه الأحاديث.. أريد أن أقص عليكم قصة لطيفة جرت مع ابني الصغير.. كنت أدرس فلمحت طفلي يمسك بيده سكيناً وهو يقول: سأخرج الدم من يدي بهذه السكين.. إن لون الدم أحمر جميل. فأسرعت إليه وقلت له: إياك أن تفعل.. إن جرحت نفسك فسوف تتألم وتمرض، وقد تموت.. لكنه أصر.. فانتزعت السكين منه، فبكى حزناً عليها.. لكنني لم أرد عليه.. كيف أسمح له أن يقتل نفسه..؟!

أجابه أمير القرية: حسناً فعلت، إنه طفل لا يفهم الخير من الشر.

فقال رئيس الفرقة: كلامك صحيح.. لكنني أعجب لرجال يعرفون الخير من الشر، ويستمرون على طريق الشر..

همس أمير القرية: عجيب أمر هؤلاء.. إنهم يهلكون أنفسهم..

ضحك أفراد القرية كلهم.. فانتبه أمير القرية وسكت الجميع..

قطع أمير القرية الصمت وقال: وصلنا الآن إلى مكان يمكن أن تدخله فرقتكم، تفضلوا.. تفضلوا..

همس رئيس الفرقة والعجب يملأ وجهه: لو استأذنت لنا..

فقال: لا حاجة للاستئذان.. إن دين الفراعنة لا يمنع أي رجل من دخول أي بيت يريد، وفي أي وقت يشاء..

همس رئيس الفرقة: وكيف عرفتم ذلك؟!

أجاب أمير القرية: إن آلهتنا من البقر يفعلون كذلك.. فنفعل نحن مثلهم..

سأله رئيس الفرقة: إذن فأنتم تفعلون مثلما يفعل البقر..

أطرق أمير القرية وقد انتبه إلى شناعة ما يفعلون.. وقال: هل أستأذن لكم حتى تدخلوا..

فأشار إليه رئيس الفرقة قائلاً: نعم.. نعم، إن سمحت..

فوجئ الجميع حين رأوا أمير القرية يصرخ: هيا استتروا فرقة البحث قد أتت.. يجب أن لا نضيع وقتهم..

صاح رئيس الفرقة: أرجوك لا تزعجهم يمكن أن نذهب إلى بيت آخر؟!

قال أمير القرية: رأيتهم في وضع لا يسركم.. وجميع أهل القرية هكذا.. فلا بد أن يتجنبوا إيذاءكم..

قال رئيس الفرقة: وهل تعتقد أن عادات هؤلاء تؤذي الآخرين؟

همس أمير القرية: الحق أنها عادات همجية.. لم يتكلم أحد من الفرقة.. وتابع الأمير: سترون ما يسركم إن شاء الله.. أسرع إلى نهر قريب، وغطس فيه بثيابه.. ثم عاد وصلّى ركعتين وقال: الحمد لله.. لقد غسلت عن نفسي وجسدي أوزار الهمجية وأصبحت مسلماً.. عانقه رئيس الفرقة.. وأكملوا عملهم وعادوا..

قال المذيع: الحمد لله.. الحمد لله.. إن الضمائر تستيقظ.. وإن النفوس كلها خيّرة، فما أروع ما قامت به فرقة الأبحاث في هذه القرية.

الكتّاب والحرية

كان صباحاً رائعاً ذلك الصباح.. تزين الناس كلهم.. وراحوا يهنئ بعضهم ببعض.. فاليوم هو يوم "المودودي"، الكاتب الإسلامي العظيم، لقد كان يجاهد مع إخوانه لإزالة الجاهلية الهمجية وإقامة عدل الإسلام في الأرض.. توجّه الناس إلى متحف المودودي الذي أقامته "إدارة تكريم العلماء والكتّاب الإسلاميين في العاصمة" ووزعت نماذج عنه في كل المدن في دولة الخلافة الراشدة.

لكن الناس كانوا حريصين أن يذهبوا إلى المتحف الرئيسي في عاصمة الإسلام، فهناك متاحف العظماء، منذ أنزل الله الإسلام.. إلى الآن..

كان الناس يدخلون صفوفاً متراصة إلى متحف المودودي، كانت صورته بلحيته الرائعة تحتل واجهة المتحف الضخم ومكتوب تحتها: جاهد الهمجية منذ ثلاثمائة عام.

كان الناس يرون في القاعة الأولى من المتحف عشرات المجلدات، إنها مجلته "ترجمان القرآن".. التي نشرها منذ كان شاباً، وحتى توفاه الله.. كانت المجلدات تملأ القاعة.. معروضة بشكل جميل وجذاب..

وفي القاعة الثانية رأوا كتابه الرائع "تفهيم القرآن" الذي فسر فيه القرآن كله، ورأوا نماذج من طبعاته المختلفة في شتى اللغات.. مع توضيح لعدد طبعاته وعدد نسخ كل طبعة.. كان الناس يبتسمون بفرحة حين يرون أن الكتاب قد طبعت منه ملايين النسخ..

أما القاعة الثالثة: فكانت قاعة كتاب مبادئ الإسلام.. كانت ضخمة.. ضخمة.. فيها نماذج عن ألوف طبعات الكتاب.. وبلغات الدنيا كلها.. وفيه صورة المودودي عندما ألّف الكتاب.. إنه شاب قوي، ممتلئ بالعزيمة والعزّة.

وفي القاعة الرابعة: كتابه "المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم" ومكتوب في صدر القاعة.. إنه أعظم كتبه التي فتحت عيون المسلمين على عقائدهم الصحيحة.. وساهم الكتاب مساهمة هائلة في اكتساح الجاهلية الهمجية.

وفي القاعة الخامسة: عدة كتب تحت عنوان: كتب للنهضة: منها كتاب واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، وكتاب تجديد الدين وإحيائه، وكتاب منهاج الانقلاب الإسلامي، وكتاب الحضارة الإسلامية، ودراسة عنوانها: داء المسلمين ودواؤهم، ومجموعة من المقالات المختلفة.

ولا زال الناس ينتقلون من قاعة إلى قاعة.. وأخيراً وصلوا إلى حديقة البناء: فرأوا عنواناً ضخماً: هنا بيت الكاتب الإسلامي المجاهد "المودودي"، دخل الناس، فرأوا غرفة صغيرة فيها سرير عادي وطاولة صغيرة، وغرفة ثانية

فيها بعض المتكآت وسجادة عتيقة، ثم دخلوا غرفة ضخمة جداً رأوا فيها مكتبته.. فيها عشرات الألوف من الكتب، رأوا في المكتبة صوراً تاريخية معبرة.

استلم كل مواطن زائر كتاباً عن حياة المودودي، فلما خرجوا من بيته إلى الحديقة رأوا لافتة ضخمة مكتوباً عليها: انتبه.. لا تنس زيارة قبر الكاتب المجاهد المودودي والدعاء له.. كان الناس يتوجهون بخشوع عظيم إلى قبر بسيط.. لا يزيد ارتفاعه عن ربع متر.. مكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. هذا قبر العبد الصالح "المودودي" وكان المواطنون يقفون حول القبر.. ويدعون له.. لقد كان عظيماً حقاً.. كان الناس يذرفون الدمع حزناً على ما أصابه من نكبات من الحكومة الظالمة الهمجية.

ومن بعيد بدت لافتة ضخمة مكتوب عليها: لا تنس أن تدخل إلى قاعة العرض لترى بعض ما كان يعانيه كتاب الإسلام في عصور الهمجية..

أسرع مواطن وكتب بعض كلمات على ورقة، ثم اقترب من آلة دس الورقة فيها، وانتظر دقيقة..

رأى على شاشة الآلة رئيس مجلس تكريم الكتاب الإسلاميين يقول: أهلاً بالأخ، إن اقتراحك بإذاعة فيلم "ما كان يعانيه كتّاب الإسلام في عصور الهمجية" من التلفاز اقتراح جميل.. وقد وافقت هيئة الإعلام عليه.. سيذاع الفيلم مساء هذا اليوم.. والسلام عليكم ورحمة الله..

ابتسم المواطن وهمس: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. وانطلق إلى عمله..

كانت الدنيا تدعو للمودودي بالرحمة، وتسأل الله أن يجعل جزاءه الفردوس

الأعلى من الجنة.

عاد الناس كلهم إلى بيوتهم مبكرين مساء ذلك اليوم.. حتى لا يفوتهم عرض فيلم "ما كان يعانيه كتّاب الإسلام في ظل الهمجية البربرية".

هدأت الدنيا كلها حين بدأ العرض..

رأى الناس شاباً عليه ملامح تركية.. يحمل بيده كراسة متوجهاً إلى مطبعة.. يدخل..

فيرحب به صاحب المطبعة ويقول له: أهلاً.. أهلاً.. شرفتنا..

يقول الكاتب: أريد أن أطبع كتابي هذا..

يتناول صاحب المطبعة الكتاب فإذا عنوانه: "إلى شباب الإسلام" يمتقع لون صاحب المطبعة من الخوف، ويقول: هذا الكتاب خطير.. هل حصلت على موافقة الدولة على طبعه؟..

فيجيبه: لا أعتقد أن الدولة تسمح بطبعه..

يقول: وكيف أطبعه لك؟! إن الدولة تصادر مطبعتي وأموالي كلها إن طبعته لك.. أرجوك أنا آسف.. لا أستطيع طبعه..

يخرج الشاب وبيده كتابه.. يصل إلى مسجد ضخم مملوء بالشباب، يسأله بعضهم: سيدي.. هل طبعت الكتاب؟

فيجيب والأسى يملأ وجهه: رفضت كل المطابع أن تطبعه..

يقول تلميذ: حسناً كم نسخة تريد منه يا سيدي؟..

يجيبه: قلت لهم لا أريد إلا خمسة آلاف نسخة..

يجيبه: حسناً.. هل تتكرم وتعطيني النسخة المخطوطة.. فعندي وسيلة لطباعته..

يقول له الشاب العالم: تفضل خذه.. بارك الله فيك..

يحمل النسخة ويذهب إلى بناء مكتوب عليه "إدارة النشر الحكومية" يدخل إلى غرفة فيها رجل كبير الجثة يجلس خلف مكتب ضخم، يقول له: أريد طباعة هذا الكتاب.. هل تسمحون لي بنشره؟..

يتناول منه الكتاب ويمط شفتيه وهو يقرأ عنوانه ثم يقول له: سننظر فيه.. بعد شهر عد إلينا..

يقول الشاب: بعد شهر!! ولماذا كل هذه المدة؟..

ينظر إليه الضخم الجثة ويقول له: لا تعترض.. إن لم يعجبك فخذ كتابك.. ولا أظن أن ننتهي من قراءته قبل ستة أشهر.

يقول الشاب: حسناً.. أعطني نسخة الكتاب.. لا أريد طبعه..

فيرميه ضخم الجثة في وجه الشاب.. فيلملم الشاب أوراقه، ويخرج.

نراه يدخل مكتبة يقول لصاحبها: أريد شراء خمسة آلاف دفتر.. فهل عندك هذه الكمية؟!

يجيبه: نعم.. نعم.. عندي.. يحزم له الكمية.. فيحملها في سيارة ويصل بها إلى بيته.. ثم يذهب إلي الجامع.. يوشوش بعض زملائه.. قائلاً لهم: تعالوا إليّ اليوم..

يمتلئ بيته بالشباب.. يسلم كل واحد منهم دفتراً وقلماً.. ويقرأ هو في الكتاب.. ويكتبون هم.. ونرى بعد ذلك مئات الشباب يكتبون.. في أماكن مختلفة.. ثم ترى رجلاً يجلس في حانوته يكتب، وامرأة في بيتها تكتب، وموظفاً في مكتبه يكتب..

نرى الشاب يقترب من شيخه يقول له: سيدي.. لقد تم طبع الكتاب.. هل

تريد أن تستلمه؟

فيقول له والدهشة تملكه: كيف طبعته؟..

فيقول له: تفضل معي.. فيسرع معه إلى بيته، وهناك يرى غرفة مملوءة بالدفاتر.. يتناول دفتراً فيجده نسخة من كتابه مكتوبة باليد.. تنسكب الدموع من عينيه بصمت وهو يعانق تلميذه.. وفي اليوم نفسه وزعت الآلاف الخمسة على الناس كلهم..

وأخيراً نرى الشاب معلقاً في مشنقة.. وموظفاً يقرأ: لقد حكمت المحكمة العادلة على هذا الشاب أن يُشنق لأنه حاول أن ينشر أفكاراً هدّامة تدعو الناس إلى التمسك بقيم سخيفة كالإيمان بالنبي والملائكة، والآخرة، والسلوك الأخلاقي، بعيداً عن اللذة والمتعة، كما يدعو إلى سلب أموال الأغنياء وإعطائها للفقراء.. وإلى مساواة العبيد بالسادة.. إنه مجرم حقيقي يجب أن يتخلص الوطن منه ومن أمثاله الذين يدعون إلى مثل هذه الأفكار الهدّامة.. ولذلك فقد حكمت المحكمة على كل من يسير على دربه بالشنق..

ونرى بعدها مشانق يتأرجح منها عشرات الرجال.. وكل رجل مكتوب إلى جانبه لائحة، يمر التلفاز على هذه اللوحات فنقرأ مكتوباً على الأولى منها: كاتب قديم، وعلى الثانية: كاتب أخلاقي، والثالثة: كاتب يدعو إلى الطهارة، والرابعة: كاتب يثير عواطف العوام، والخامسة: كاتب طائفي، والسادسة: كاتب تجاوز حدوده، والسابعة: كاتب نشر كتبه دون إذن، وعلى المشنقة المائة: كاتب رفض الكتابة عن الجنس والإباحية، وأخيراً وعلى المشنقة الأخيرة مكتوب عند جثة الكاتب التي تتأرجح في الهواء: كاتب رفض الترويج لعبادة الأصنام والفراعنة..

يقترب الناس من المشانق.. يبكون.. ثم يعمّ الليل.. نرى رجلاً ملثماً يطرق باباً بهدوء، ثم يقول لصاحب الدار: أتقرأ كتاب الشهيد..

فيجيبه: وسأعطيه لألفٍ لكي يقرؤوه..

أرجوك أعطني كتباً أخرى..

فيجيبه: لا.. حتى تطبق كل كلمة فيه..

فيبكي ويقول: أقسم بالله سأطبقه.. أعطني غيره، فيعطيه غيره.

وتمر الأعوام، ونرى الشعب كله يتوجه إلى المساجد... ثم نرى المساجد قد أُغلقت.. فيصلي الناس حولها.. فيُرشون بالرصاص.. ويقع الألوف قتلى.. وعندها ينقشع الظلام.. ويزيح الشعب الظالمين..

يقول المذيع: على أكتاف هؤلاء المجاهدين قامت دولتنا الراشدة.. يا ليتني كنت معهم لألقى الشهادة في سبيل الله عالماً مجاهداً مرابطاً..

فتهتز قلوب الناس كلهم.. وتسيل دموعهم أنهاراً.. ويقولون كلهم: ألا لعنة الله على الظالمين كم هم همجيون فاسدون..

أعوذ بالله.. أتختلفون..؟!

فجأة يتراجع المذيع.. ويقترب أمير المؤمنين.. همس والغضب يقطر من وجهه: ما كنت أظن أن تكون في أمتنا مثل هذه الكوارث.. لقد وردني الآن نبأ من قارة أمريكا أن صراعات مخيفة بدأت حول قضايا سخيفة.. أخشى أن تمتد الفتنة إلى أرجاء القارّة.. أتوجّه إلى القائد العام أن يحاصر بجيوشه منطقة جنوب كندا فوراً.. حتى ننظر في الأمر.. أرجو أن يتابع المواطنون

معنا هذه الأحداث، كما أرجو أن تجتمع هيئة القضاء الأعلى فوراً..

دهش الناس حين رأوا الجيوش الضخمة تتحرك باتجاه المنطقة الكندية، سمعوا القائد العام يخاطب جنوده قائلاً: إن مهمتنا تقتصر على محاصرة منطقة الفتنة.. ما أشد أسفنا حين يضطرنا بعض إخوتنا إلى اتخاذ مثل هذا الموقف.. لن نطلق رصاصة واحدة.. لا ترفعوا السلاح في وجه إخوانكم.. سنتلقى الأوامر مباشرة من أمير المؤمنين وهيئة القضاء الأعلى.. أنتم خدم المؤمنين.. وأنتم حُماتهم.. معسكراتكم جاهزة، على الحدود الكندية، محرّم إتلاف المزروعات، محرّم التباهي بالأسلحة لإخافة الناس، محرّم إشعار المؤمنين بأي ضغط..

ثم انتقلت الصورة إلى المنطقة الكندية.. رأى الناس تجمعات في حالة هياج والناس يصرخون: لا تسمح بدخول إنكليزي كندي إلى مقاطعات الفرنسيين الكنديين..

كما رأوا بعض العقلاء يخاطبون جموع الهائجين يقولون لهم: أيها المسلمون.. إخوانكم لا تمنعوهم، إن أرض الله واسعة، والمؤمن وطنه الأرض.. كيف تمنعون إخوانكم من دخول بلادكم؟! المؤمنون إخوة.. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.. لا تعودوا إلى عهود الهمجية.. لكنّ الهائجين ما كانوا يسمعون أو يستجيبون..

انتقل التلفاز إلى مكان آخر رأى الناس الكنديين الإنكليز يسيرون في شوارع المدن يصرخون: أموالنا مهددة.. يسقط الفرنسيون الكنديون الهمجيون.. أوقفوهم عند حدهم، أوقفوا ظلمهم.. احفظوا حقوقنا..

رأى الناس هيئة القضاء الأعلى تجتمع برئاسة أمير المؤمنين، قال: الفتنة

قد تمتد.. اعملوا بأقصى ما يمكن من السرعة.. أعطوني تقريراً كل ساعة..

رأى الناس القائد الأعلى للجيش يقف وقفة عسكرية، ويقول: مولانا أمير المؤمنين.. المنطقة الكندية محاصرة.. هل من أمر آخر؟..

أجابه أمير المؤمنين: انتبهوا جيداً.. وكونوا في حالة استنفار قصوى..

أجاب القائد العام: نحن كما تحب يا أمير المؤمنين.

رأى الناس الجنود في حالة استعداد ضمن سياراتهم المصفحة الطائرة.. عصيهم في أيديهم.. وهم يتابعون مشاهدة التلفاز ضمن سياراتهم.. ما زالت صورهم تعرض.. حتى دارت على القوات كلها.. كانت تحاصر مناطق الفتنة في كندا كالسوار..

انتقلت الصور إلى هيئة القضاء الأعلى.. رأى الناس رئيس القضاء يقول: أوجّه خطابي إلى الكنديين الفرنسيين والإنكليز.. انتخبوا ممثليكم في النزاع خلال عشر دقائق وليأت الممثلون إلى هيئة القضاء فوراً..

توجّه ثلاثة من الكنديين الفرنسيين، وثلاثة من الكنديين الإنكليز إلى هيئة القضاء.. حتى وقفوا أمام الهيئة..

أشار إليهم رئيس الهيئة بالجلوس، فجلسوا متقابلين.. همس: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) أليس كذلك؟!

أجاب الجميع: بلى.. بلى..

تابع: (**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**) أليس كذلك؟..

أجابوا: بلى..، بلى..

تابع: المسلم أخو المسلم لا يظلمه..، ولا يسلمه.. أليس كذلك؟..

أجابوا: بلى.. بلى..

تابع: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.. أليس كذلك؟..

أجابوا: بلى.. بلى..

تابع: كفى بالمرء إثماً أن يحقر أخاه المسلم.. أليس كذلك؟..

أجابوا: بلى.. بلى..

فقال: حسناً، هيا ليقل كل منكم مشكلته..، واعلموا أن الله يقول: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**) ونحن سنطبق هذه الآية عليكم..

وقف رئيس وفد الكنديين الفرنسيين، وقال: إن إخواننا من الكنديين الإنكليز يغزون بلادنا في مواسم الزراعة والصناعة.. فيشترون معظم المنتجات.. ويشحنونها إلى بلادهم ثم يوزعونها على بقية البلاد.. محققين أرباحاً طائلة.. مما يحرمنا من خيرات بلادنا.. ويجبرنا على استيرادها من بلاد أخرى بثمن أغلى من ثمنها الذي تباع به في بلادنا.. نطالب ألا يدخلوا بلادنا أبداً..

همس رئيس الهيئة: إخوانكم لا يدخلون بلادكم..؟ هذا لا يمكن.. بلاد المسلم هي كل الأرض.. هل تريدوننا أن نعود إلى حدود الهمجية؟.. لنسمع الآن إلى رأي الطرف الآخر..

وقف أحد الثلاثة من وفد الكنديين الإنكليز، وقال: إن أموالنا مهددة يا حضرة الرئيس، لقد حاصر الكنديون الفرنسيون متاجرنا ومصانعنا ومزارعنا..

همس الرئيس: هل صحيح ذلك يا إخوة؟.. لم يجب الكنديون الفرنسيون.. فوراً رفع سماعة الهاتف واتصل بأمير ولاية كندا.. سأله: هل صحيح أن متاجر الكنديين الإنكليز ومصانعهم ومزارعهم الموجودة في مناطق الكنديين

الفرنسيين محاصرة؟..

أجاب الأمير: لقد حاصرها بعض المواطنين.. ووضعنا نحن عليها حراسة مشددة حتى لا يصاب بأذى..

همس رئيس القضاء الأعلى بغضب: هل أفهم من ذلك أن بعض الكنديين الفرنسيين لديهم نيّات سيئة تجاه أموال إخوانهم؟..

همس أمير ولاية كندا: لا أظن ذلك يا أخي.. لكن ذلك كانت نتيجة تهيج عواطف الناس.. وسيكون ما تريد بإذن الله.

توجّه إلى هيئة القضاء، وقال: أرى أن تتخذوا قرارين سريعين: الأول أن توقفوا شحن البضائع من مناطق الكنديين الفرنسيين مدة أربع وعشرين ساعة حتى يصدر قرار الهيئة بعد انتهاء سماع شهادات المتخاصمين.. وأن يزال كل حصار لمزارع الكنديين الإنكليز ومصانعهم ومتاجرهم الموجودة في مناطق الكنديين الفرنسيين.. ما رأيكم؟!..

أجاب الجميع: نحن موافقون..

التفت وقال: قرار احتياطي.. ترفع جميع أنواع الحصار عن ممتلكات الكنديين الإنكليز في مناطق الكنديين الفرنسيين.. ويوقف شحن جميع أنواع البضائع والسلع والمنتجات من مناطق الفرنسيين إلى مناطق الإنكليز.. حتى اتخاذ موقف قضائي جذري.

ظهر أمير المؤمنين وهمس: ينفذ القرار فوراً..

ظهرت مزرعة في داخلها رجال يمسكون العصي.. وحولها مجموعة من الناس الهائجين، وظهرت مدرعات أمن كثيرة، قال قائدها: نرجو من إخواننا أن يفكوا الحصار تنفيذاً لأمر القضاء ولأمر أمير المؤمنين..

بدأ الناس ينسحبون.. وبقي بعض الهائجين يصرخون.. فنزل الجند من مدرعاتهم.. والتفّ كل خمسة حول مواطن هائج.. وهمسوا له: اسكت من فضلك.. لقد أصدر أمير المؤمنين أمره.. لا تضطرنا إلى إيذائك.. سكت بعض الناس.. وتفرقوا.. وتابع بعضهم هياجه.. أمسك أحد الجند برجل وصرخ به: نرجوك كفى هياجاً.. موضوعكم أمام القضاء.. لا داعي للمشاكل.. فسكن عدد آخر.. وبقي واحد هائج.. رفع يده مهدداً الجند، عندها ابتعد الجند عنه نحواً من متر، وألقى أحدهم عليه كرة، فخرج منها عندما لامست الأرض غاز معطر، وانطلقت منها خيوط هائلة العدد التفت حَوْل الرجل.. فقيدته تماماً.. ثم حملوه.. واتجهوا به إلى مدرعتهم.. واتجهت المدرعة به فوراً إلى السجن: حملوه برفق.. وهم يقولون: نرجوك لا تفعل أكثر مما فعلت.. نحن مضطرون إلى وضعك في السجن تحت المراقبة حتى تنتهي المحاكمة..

استقبلهم على باب السجن مجموعة من الممرضين، فكوا الخيوط عن الرجل.. وقادوه إلى شقة من ثلاث غرف.. وقالوا له: ستبقى هنا حتى يصدر القاضي فيك أمره.. يمكنك أن تطلب أي كتاب تريد، وأي طعام تريد، وأي علاج تريد، وأن تتجول في حدائق السجن.. وتمارس هواياتك في ملاعبه كما تشاء.. عفواً: نحن إخوانك.. فاحفظ حقوق الأخوة.. أسرع الرجل وخلع ثيابه.. وتوضأ.. وراح يصلي..

عاد التلفاز إلى أحد الموانئ.. لنرى سفنا تحمل بضائع... توجه إليها الشرطة وسلموا ربابنتها أوامر بعدم التحرك إلا بعد أن يتخذ القضاء قراره.. فأعلن الجميع امتثالهم.. وعادت بعض السفن التي كانت قد بدأت سيرها..

عادت إلى الموانئ تنتظر موقف القضاء..

ظهر أمير ولاية كندا، وقال: أخي رئيس هيئة القضاء الأعلى.. لقد نفذت قراراتكم..

التفت رئيس هيئة القضاء الأعلى إلى وفد الكنديين الإنكليز وقال: هل صحيح ما قاله إخوانكم..

أجابوا: ما كنا نقصد الإساءة إليهم، كنا نشتري منتجاتهم.. ونحن لا ندري أن الكنديين الإنكليز يشترون معظم إنتاج الفرنسيين..

التفت رئيس الهيئة وقال: أوجه ندائي إلى دائرة الإحصاء الاقتصادي.. أرجو أن تزودوني فورا بحركة منتجات الفرنسيين الكنديين خلال عشرة أعوام.. كما أرجو إعطائي قائمة بثمن هذه المنتجات في مواسمها.. وثمنها في آخر العام.. في بلاد الكنديين الفرنسيين.. وثمنها خلال الفترة ذاتها في مناطق أخرى من بلدان دولتنا الراشدة..

ظهر رئيس مركز الإحصاء الاقتصادي وهمس: بعد دقائق ستكون القائمتان عندكم..

ثم ظهرت قوائم على شاشة التلفاز تبين أن معظم إنتاج الكنديين الفرنسيين يشتريه الكنديون الإنكليز... وأن الأسعار ترتفع في بلاد الفرنسيين الكنديين في آخر العام عنها في أول الموسم، وظهرت أثمان هذه السلع في المناطق الأخرى أقل منها في بلاد الفرنسيين الكنديين في آخر الموسم..

همس رئيس هيئة القضاء الأعلى: إن ما ذكره الفرنسيون الكنديون كله حق..

همس أحد القضاة: أقترح أن يطلب أخي رئيس الهيئة قائمة بما يحتاجه

الفرنسيون الكنديون من منتجاتهم كلها خلال عام كامل..

أجاب رئيس الهيئة: هذا جميل.. يلبى طلب أخي القاضي..

فظهر رئيس مجلس الإحصاء وبيده كتاب وقال: القائمة المفصلة موجودة في هذا الكتاب.. والفائض في الإنتاج محدد فيه أيضا..

همس رئيس الهيئة: أسأل مولانا أمير المؤمنين.. هل يحدث ضرر من منع تصدير منتجات بلاد الكنديين الفرنسيين إلى أماكن أخرى في دولتنا الراشدة...؟!..

ظهر أمير المؤمنين وقال: يحدث ضرر بسيط يمكن تلافيه بإنشاء صناعات مماثلة في المناطق المتضررة.. أرى أن تتخذوا حلولا مرحلية حتى لا يحدث ضرر على جهة واحدة من البلاد..

ظهر رئيس وفد الكنديين الفرنسيين وقال بحماس: إنني أتوجه باسم إخواني الكنديين الفرنسيين قائلا: إننا نرى أن تصدر منتجاتنا إلى إخواننا الذين هم بحاجة ماسة إليها حتى يتم إنشاء المشاريع اللازمة التي تكفيهم حاجاتهم.. إننا نؤثرهم على أنفسنا..

ابتسمت الأمة كلها فرحة.. وفرحت هيئة القضاء.. واجتمع القضاة وتداولوا ثم أصدروا قرارهم التالي:

١ – يمنع تصدير منتجات مناطق الكنديين الفرنسيين إلى أية مناطق أخرى إلا إلى المناطق التي يمكن أن يصيبها ضرر من ذلك فتعطى من المنتجات كمية يجعل الضرر الواقع عليها موازياً للضرر الذي يمكن أن يقع على مناطق الكنديين الفرنسيين إن صدرت منتجاتهم خارج مناطقهم.

٢ – تحدد هذا التوازن السلطة التنفيذية فورا..

٣ – تعمد الدولة إلى إنشاء مؤسسات مناسبة لإنتاج ما تفتقده بعض المناطق وبأقصى سرعة.

٤ – يفرج عن جميع الموقوفين بشأن هذه القضية..

٥ – يسمح بشحن جميع البضائع التي حملت في وسائل النقل أو تجمعت في الموانئ والمحطات ولآخر مرة حتى صدور قرار السلطة التنفيذية..

والحمد لله رب العالمين..

ظهر أمير المؤمنين وقال: ينفذ قرار هيئة القضاء الأعلى فوراً.. إذا لم يكن عليه اعتراض من أحد من الفريقين المتخاصمين، أقول للكنديين الفرنسيين، والكنديين الإنكليز، اعترضوا إن كان لكم اعتراض قانوني..

ظهر رئيس وفد الكنديين الفرنسيين وقال: قبلنا الحكم ولا اعتراض لنا، وكذلك قال رئيس وفد الكنديين الإنكليز.

ظهر أمير المؤمنين وقال: إن مناطق جنوبي شرق آسيا سيصيبها نتيجة عدم تصدير منتجات مناطق الكنديين الفرنسيين نقص في اللحوم مقداره ستمائة ألف طن، ونقص في الأسمدة مقداره مليونا طن، ونقص في الحديد مقداره مليون طن..

أتوجه إلى جميع المواطنين في جميع الأرض أن يمدوا إخوانهم بهذه الكميات حتى لا يقع الضرر عليهم وحدهم، وأعلمكم أنني لن آكل لحما قبل أن يكتفي إخواننا في الأرض كلها منه، ولن أستخدم مسمارا من حديد قبل أن تؤمن حاجات المتضررين..

رنت جميع الهواتف وظهر أمراء الولايات على الشاشة وكل منهم كان يقول: سنقتدي بأمير المؤمنين، ونتحمل حصتنا في النقص لينعم إخواننا في

جنوب شرق آسيا بالمنتجات المناسبة التي يحتاجونها، بينما كانت الدنيا كلها تضج بقول الله تعالى: (**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**).

ابتسم أمير المؤمنين وقال: كنت أخشى أن تتطور الأحداث في كندا إلى قتال دموي مخيف يعيد إلينا ذكرى الفتنة الأولى في عهد عثمان رضي الله عنه، إن الله سبحانه يقول: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**..).

كنت ملزما بنص هذه الآية الكريمة أن آمر بمقاتلة الفتنة التي لا تنصاع للحق والعدل وتريد أن تبغي على أختها وتظلمها حتى تخمد الفتنة، وتزول أسبابها.. لكن الله قد حمانا من هذه الفتنة حين طبقنا دينه، وهكذا يجب أن يكون المؤمنون على الدوام.. أتوجه إلى قائد الجيوش.. وأقول له: ليرجع إخواننا الجنود إلى ثكناتهم فوراً.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ظهر المذيع والفرح يهزه.. وقال: الحمد لله الذي أسعدنا بدينه..

أتدرون أيها الإخوة ماذا كانت دول الهمجية تفعل حين كان يحدث فيها مثل ما حدث عندنا..؟؟؟ تعالوا لننظر..

الهمج أنانيون..

رأى الناس إنكليزيا متخما يقول لملك جالس على عرشه: مولاي الملك.. لقد احتكرنا جميع بضائع الهند وأفريقيا.. إننا ننقلها إلى العالم كله لنبيعها بعشرات أضعاف ثمنها.. لينعم التاج البريطاني بالرفاه..

ضحك الملك وقال: وماذا يقول الهنود عنا والأفريقيون؟!

همس المتخم: إنهم يكرهوننا.. إنهم لا يجدون الطعام يا مولاي.. فهم ضعفاء.. لن يقووا على مقاومتنا..

قهقه الملك وصرخ: عظيم.. عظيم.. الرفاه لشعوب بريطانيا العظمى.. وللشعوب الأخرى الموت.. إنها لا تستحق الحياة..

ظهرت على التلفاز صور القرى الهندية: الناس يزرعون طوال العام.. وعندما يصبح المحصول جاهزا نرى الجنود البريطانيين يحملون كل شيء.. ولا يتركون للهنود شيئا.. وأجسام الهنود هزيلة، وبيوتهم فقيرة.. وثيابهم أسمال.

وكذلك نرى صور القرى الأفريقية.. والأندونيسية.. نرى العمال يموتون من الجوع، بينما يرصف الإنكليز والهولنديون والفرنسيون شوارعهم بالمطاط، ويفرشون قاعاتهم بسبائك الفضة..

نرى بعد ذلك قاعة ضخمة فيها روسي وأمريكي وإنكليزي وفرنسي وألماني.. يتناقشون، وقف الألماني وقال: أريد مناطق أستغلها.. أريد مستعمرات.. وإلا أعلنت عليكم الحرب..

فأجابه الروسي: إن إنكلترا وفرنسا لديها مستعمرات واسعة، أما مستعمراتنا فمحدودة.. خذ منهم ما تريد..

صرخ الإنكليزي والفرنسي: لا.. لا.. إننا بحاجة إلى كل قرش يأتينا من مستعمراتنا لن نعطي ألمانيا منها شيئا..

ثم ظهرت الانفجارات الرهيبة، وسقط ملايين القتلى، ودمرت ألوف القرى والمدن.. وسقطت ألمانيا صريعة..

ثم برزت أمريكا وبيدها صاروخ ذري، وروسيا وبيدها صاروخ ذري آخر..

وكل منهما تقول: العالم لي..

لكن العالم أعلن الثورة في كل مكان على الاستعمار... فاتجهت الدولتان وخاضتا معارك ضارية ضد الشعوب.. وضد بعضهما البعض.. وأخيرا قالتا معا: لماذا لا نتفق!!. إن اختلافنا يؤدي إلى يقظة الشعوب.. وتفلتها من بين أيدينا... تعالوا نتفق..

ثم نرى زعيم روسيا مع زعيم أمريكا في غرفة مغلقة.. وأمامهما خريطة العالم يتقاسمان النفوذ فيه.. ويسحقون الشعوب في كل مكان..

ظهر المذيع وصاح: يا ويلهم إنهم كانوا يعملون ضد الإنسان.. ضد الفقراء.. وضد شعوبهم نفسها.. لقد كرهت الشعوب بعضها بعضا وتفرقت، وقامت بينها المجازر.. حتى أنقذ الله الأرض... فقامت فيها الخلافة الراشدة.. فحولت الدول إلى دولة واحدة.. وألغت الأحقاد وزرعت الأخوّة... وأنهت الحروب وحولت الدنيا إلى سلام فعم العدل.. وزال الظلم.. ونعم الإنسان بالحرية في كل مكان.. فهل في دنيا المبادئ خير من الإسلام؟!!!

* * *

دين الزوايا المعزولة

رن الهاتف ثم ظهر على الشاشة مواطن يقول: ماذا جرى في لجان الباحثين التي أمر بها أمير المؤمنين لتدرس أحوال غير المسلمين ولتتعرف على عاداتهم وأخلاقهم؟!...

أجاب المذيع: لقد سبقني الأخ.. لقد انتهت الدراسات، وسوف نعرض عليكم النتائج بالتدريج...

ظهر رئيس مؤتمرات الباحثين، وقال: إن أول دين درسناه على ظهر الأرض هو دين "الزوايا المعزولة" الذي ينتشر أنصاره في الهند، لن أتعرض لتفاصيل ما في هذا الدين، بل سأترك لزعمائه أن يصفوه، حتى لا أمارس عليهم أي ضغط ولو كان دون قصد مني..

ظهر رجل ضخم الجثة، كبير البطن، يضع على رأسه عمامة هائلة، لحيته طويلة مشعثة، وشكله ذابل كله.. وعيناه زائغتان، ورأسه محني، وفي وجهه شحوب وغربة، وثيابه فيها تمزقات وأوساخ...

همس: أنا من دين الزوايا المعزولة الهندية، إن ديني الذي أعتز به يدعو إلى ما يلي:

الحياة كلها شر، والمؤمن يجب أن يبتعد عن الشر، فلذلك يجب أن يبتعد عن الحياة، لذلك كان ديننا الهندي كله محصورا في الزوايا.. وكل الأحياء في ديننا مقدسون.. ولا يجوز أن نؤذيهم.. لأن إيذاءهم شر.. ونحن لا نريد الشر.. لذلك لا يجوز في ديننا قتل أية دابة أو حيوان.. ولو كان عقربا، أو حية، أو حشرة، أو فأرة... ففيهم كما في غيرهم قد تجسدت الحياة... والحياة مقدسة.. لذلك لا نؤذيهم ولا نطاردهم...

والماء عدو الجسد.. حبيب الأرض... لذلك فنحن نسفحه، ولا نستعمله.. فمنه ينبع الخير من الأرض... وهو الذي ينمي الشر في الجسد.. وأخيرا قال: أنا أشكر حكومتنا الرشيدة التي أتاحت لي أن أشرح لكم ما يقوم عليه ديني... دين "الزوايا المعزولة" الهندية..

سأله المذيع: ومن أين تأكلون إن كنتم لا تعملون؟!...

أجابه: الطعام يقوي الشر في أجسامنا... لذلك فنحن لا نأخذ إلا القليل... وهذا القليل نجمعه من الناس بالتسول، فالسؤال في ديننا فرض عظيم.. لأننا حين ننقص ما في أيدي الناس من أموال، فإننا ننقص من بين أيديهم الشر. لذلك فإننا جميعا نعمل في الشحاذة والتسول...

وماذا تعملون في الزوايا؟!..

أجابه: نقترب إلى إلهنا..

فسأله: وماذا تقولون؟!..

أجابه: نقول: بصل... بصل... بصل... لأن من قال بصل... بصل... بصل فقد وصل...

قال المذيع: حسنا... هل تتكرمون أن نزور حيا من أحيائكم...

أجابه: بكل سرور.. تفضل..

تعرض أمام الناس مدينة ملتوية الشوارع.. مملوءة بالأوساخ... تسرح فيها الكلاب والجرذان.. وتنتشر فيها جيف الحمير والبغال... ندخل أحد الشوارع فنرى الجدران وسخة، غير منتظمة، والذباب يملأ الجو والروائح الكريهة منتشرة.. نرى رجلا يأكل مع أحد الكلاب من مزبلة.. الجميع وسخون، ثم ندخل زاوية فنجد عشرات الرجال نائمين... وبعضهم يصرخ بصل... بصل... الزواية مظلمة... والروائح والقذارة منتشرة في كل الأرجاء...

فجأة ظهر مواطن على الشاشة وسأل: أرجوكم لماذا لا تتخذ الدولة إجراءات مناسبة لحماية هؤلاء من الوساخة والأمراض... وتنظيم مدنهم.. وتنوير زواياهم؟!!

أجاب رئيس الطائفة بنزق: لا.. لا.. إننا لا نريد ذلك.. إننا نرفض أن تتدخل الدولة في شؤوننا... إننا نؤمن بديننا إيمانا عظيما...

سأله المذيع: هل تتكرمون بإخبارنا.. هل ينقص عدد أبناء دينكم أم يزيدون؟!..

أجابه: إنهم يزيدون... يزيدون...

سأل المذيع: هل عندكم إحصاء حول عددهم..؟!..

أجابه: لا... لا...

ظهر مدير الإحصاء وقال: إن أبناء هذه الطائفة الهندية ينقصون بسبب كثرة الوفيات بين صفوفهم نتيجة الأمراض والقذارة... وقلة التغذية... وقلة استعمال الماء...

همس المذيع: قل لنا لو تكرمت هل يلتزم أبناء الطائفة بدينهم...

أجابه بنزق: إن مجموعة كبيرة من أبنائنا تستعمل الماء.. وتأكل الطعام بشره.. وهذا من فسقهم وضلالهم.. ثم إنهم لا يحضرون إلى الزوايا إلا نادرا.. ولا يعملون متسولين... إنهم يعملون في الزراعة والتجارة.. يا ويلهم من غضب إلهنا المنتقم..؟!..

ظهر أمير المؤمنين وقال: إن عدد طائفة أبناء الزوايا المعزولة الهندية خمسة ملايين.. إننا في حيرة من أمرهم.. كلهم عالة على الأمة، لا يعملون... وأوطانهم بؤرة تنتشر منها الأمراض والحشرات إلى كل الأرض.. رغم كل ما نتخذه من احتياطات... ويكلفنا ذلك الجهود المضنية، والأموال الطائلة...

ظهر مواطن وقال: إن السكوت عن هؤلاء، يفسد علينا حياتنا...

وقال آخر: أرى أن نفرض عليهم النظافة، وتنظيم المدن، ومكافحة الحشرات والدواب المؤذية... وليبقوا على دينهم...

ظهر مواطن ثالث وقال: أرى أن توسع ثقافتهم، ويؤخذون إلى أرجاء الدنيا لينظروا ما فيها من خير وسعادة... عساهم يرجعون عن معتقداتهم السخيفة...

قال أمير المؤمنين: لا.. لا.. لن نتدخل في شؤونهم... لكننا سنجري استفتاءات بينهم... ونأخذ برأي المجموع...

ظهر مدير الاستفتاء وقال: أجهزتنا حاضرة يا أمير المؤمنين.. ونرى أن يكون أول سؤال يطرح عليهم.. هو هل تريدون أن تزوروا العالم وتشاهدوا ما فيه؟

وبعد استفتاء دام ساعة وافق نصف أبناء طائفة «الزوايا المعزولة» على أن يزوروا العالم على نفقة دولة الخلافة الراشدة...

قال لهم أمير المؤمنين: حسنا نحن نرحب بكم.. لكنكم تعلمون أن الناس تؤذيهم القذارة، فهل أنتم على استعداد لتجديد ثيابكم وحلق شعوركم، وتنظيف أجسامكم وفي كل أسبوع مرتين على الأقل...

رفض ربع الذين وافقوا سابقا... ووافق الباقون... فأسرعت إليهم سيارات ضخمة مريحة، واصطحبتهم إلى الحمامات.. وأهدتهم ثيابا جديدة.. وعينت لكل ثلاثة منهم مرشدا... وراحت تنقلهم من مكان إلى مكان...

رأوا الناس يبنون المعامل، ويعملون في المزارع، كما رأوا المعامل تدور وتنتج كل شيء.. ثم أدخلهم المرشدون إلى مشافي العجزة... سمعوا العجزة يقولون: يا ليتنا نكون شبابا لنبني وطننا ولا نكون عالة على أمتنا... فخفض

أبناء ديانة "الزوايا المعزولة" الهندية رؤوسهم حياء من تعاليم ديانتهم.. وبعد مضي شهر كامل... أعادهم المرشدون فورا إلى زواياهم ومدنهم التي كانوا فيها... فتقززت نفوسهم من وساختها وسوء تنظيمها وروائحها الكريهة.. فطالبوا جميعا أن يغادروها ليعملوا في مدن العالم الأخرى... لكن المرشدين قالوا لهم: لا... لا... يجب أن تطيعوا دينكم... ويجب أن تحافظوا على وساختكم وزواياكم المنتنة، وكسلكم الذي يأمركم به دينكم... فقالوا جميعا: ديننا كذب كله... نريد أن نتركه... ودخلوا كلهم في الإسلام... فردمت الدولة قراهم وأحرقتها وعقمت أرضها... وبنت لهم مدنا جديدة... كمدن المسلمين في أنحاء الأرض...

أما الباقون فقد تركت أبناءهم وإخوانهم الذين دخلوا منهم في الإسلام لينصحوهم كي يتركوا ما هم فيه من عذاب ووساخة وكسل...

ظهر المذيع وقال: نسأل الله أن يهدي هؤلاء مثل إخوانهم...

* * *

دين الخصيان العزبان

قال المذيع:

أما الآن... فلنستعرض دينا آخر اسمه "دين الخصيان العزبان"...

ظهر زعيمه مقطب الجبين أحمر الوجنات ليس في وجهه شعرة واحدة،

قال: إن أهم ما في ديني أنه يعتبر المرأة شيطاناً، ويعتبر الحياة الدنيا شراً كلها... ويعتبر الإنسان مؤلفاً من جسم وروح، أما الجسم فشرير، وأما الروح فخيِّرة... لذلك يجب قتل الجسد حتى تخلص الروح.. لذلك نحن لا نتزوج.. ونشرب الخمرة بكثرة.. لأنها بنت الروح.. أما الحشيش والأفيون فهما طعامنا اليومي.. إنهما خبز الحياة الخالدة...

سأله المذيع: كيف تتعاملون مع المرأة..

فأجابه: إنها لعنة الأرض، نمقتها.. ونبتعد عنها.. ولا يخلصها من لعنتها إلا لجوؤها إلى المعابد... تختلي فيها للرب... وتهجر الدنيا الجسدية...

سأله: هل للنساء معابد خاصة بهن؟!...

أجابه بسرعة: لا... لا... كيف؟! إنهن يعملن تحت إشراف الرجال... إنهن لا يحسن العمل بمفردهن...

سأله: وهكذا فالرجال والنساء في معبد واحد... أليس كذلك؟...

أجابه: طبعا... طبعا... وعلى الدوام...

سأله: هل ينقص شعبكم أم يزيد؟!

أجابه: عفوا... أنا لا أهتم بهذه الأمور الدنيوية المنحطة...

ظهر مدير الإحصاءات وقال: إن شعب "الخصيان العزبان" يزيد...

سأل المذيع: وكيف يزيد والديانة تأمر بعدم الزواج...؟!...

أجابه: إن نسبة الزواج كاملة في هذا الشعب... فليس هناك رجل لا يتزوج... ولا امرأة لا تتزوج... حتى في معابدهم... فإنهم يتزوجون بشكل يناسبهم...

سأل المذيع: أتوقع أن تكون بعض الأمراض النفسية العجيبة، منتشرة في

هذا الشعب..

أجاب رئيس الطائفة: في الحق أن أتباعنا لا يطبقون دينهم... فهم يحبون المرأة، ويقدسونها... والمرأة مخلوق لطيف.. والناس يحبون الأولاد... وهم لا ينفذون تعذيب الجسد لتخليص الروح.. كما كان يفعل أسلافنا.. كانوا يتركون المدن... ويعيشون في الخلوات... ويخصون أنفسهم، يعيش أحدهم شهرا على كسرة خبز...

ظهر رئيس أطباء العلاج النفسي وقال: إن مرض "نكد الحياة" النفسي منتشر فقط في هذه الطائفة، ترى ضمائرهم معذبة لأنهم يخالفون دينهم.. وهم لا يستطيعون إلا أن يخالفوه.. لأنه مخالف للفطرة والحياة... وعندنا الآن مريض منهم.. إن شئتم أن تروه فتفضلوا..

ظهر رجل مستلق على سرير.. تجلس إلى جانبه زوجه وأولاده... ينظر إليهم بقلق ويصرخ: اذهبوا عني... لا أريد أن أراكم... أنتم رجس... وعندما ذهبوا راح يبكي ويقول: أين أنتم يا أحبابي يا أولادي... أين أنت يا زوجي الحبيب...

اقترب منه الطبيب وقال له: هل تحب زوجك وأولادك؟!... فأجابه: أحبهم جدا... لكنني أشعر بالعذاب لأنني أحبهم... ديننا يحرم الزواج وإنجاب الأطفال...

سأله الطبيب: لكن ديننا الإسلامي يأمر بالزواج... ومحبة الأولاد...

بكى المريض وقال: يا ليتني كنت على دينكم؟!...

فسأله: وماذا يمنعك... إن شفاءك لا يتم إلا إذا استرحت من عذاب ضميرك...

أجابه: هذا هو الحل... أشهدك أني قد أسلمت... فرح الطبيب وأخذ المريض إلى الحمام.. فلما خرج... قال له: إن الإسلام يأمرك أن تكون زوجا... إن نفذت ذلك جعل الله لك حسنات وحسنات...

تهلل وجه المريض وقال: الحمد لله... الحمد لله.. أين زوجي... أين أولادي؟ فأحضروهم له، فرحب بهم... والفرح يملؤه...

أفرد له المشفى جناحا خاصا مع زوجه وأولاده ليعيشوا حياة مشتركة طبيعية حتى يتم شفاؤه...

سأل المذيع رئيس الطائفة: إن عدم الزواج يعني انقراض الناس... فهل يأمر دينكم أن تزول الحياة؟!..

لم يجب رئيس الطائفة وإنما أطرق رأسه...

قال المذيع: الحياة ليست شرا... والجسد واسطة الخير لمن شاء... ألا ترى الرجل يبذل دمه فداء دينه.. والخلود في الجنة يكون بتسخير الجسد للعمل الصالح... وليس بتعذيب الجسد...

ظهر أمير المؤمنين وقال: إننا نطالب شعب "الخصيان العزبان" أن يتمسكوا بدينهم.. وسوف ننفذ فيهم العقوبات المنصوص عليها في دينهم لمن خالف أوامره...

رنت التليفونات، وظهر عدد كبير من شعب الخصيان العزبان...

قالوا: نحن لا نستطيع تطبيق ديننا.. إنه لا يطبق... لا يصلح للتطبيق...

أجاب أمير المؤمنين بحزم: لكن دينكم ينص على قتل كل من يتزوج... ونحن حرصا منا على دينكم سننفذ كل قوانينه عليكم...

صاح مواطن: أنا أعلن أنني قد تركت ديني ودخلتُ في الإسلام...

أجاب أمير المؤمنين: حسنا أصبحت تستطيع الاحتفاظ بأسرتك وأولادك...

وراح أبناء طائفة الخصيان العزبان يدخلون في الإسلام....

وبقي بعضهم متمسكا بدينه... فبنت لهم الدولة المعابد... وهيأت لهم كل ظروف العبادة... ومنحتهم كل شروط الحياة الكريمة... وأشرفت الطبيبات على نسائهم في المعابد ليتأكدن أنهن سيبقين طاهرات.. حتى تطبق الدولة الحدود على من تخالف منهن دينها وتتزوج سراً...

* * *

المرأة... ما أتعسها؟!

ظهر المذيع وقال: قبل أن ننتقل إلى دين المشاعيين ودين الفرديين، ودين البشريين، أحب أن أعرض عليكم فيلما عن المرأة في الهمجيات السابقة... تعالوا لنرى...

نرى ثلاثة من الرجال يسكرون... يقول أحدهم: إن زوجة جاري جميلة.. أحببتها لكنها تقية.. لا تكلمني... أكاد أجن حبا بها... فماذا أفعل؟!...

أجاب أحد صديقيه: اقتل زوجها..

قال الثالث: ألا نستطيع أن نبتكر طريقة نصل فيها إلى كل النساء... دون أن نذهب إلى السجون بعد أن يقتل بعضنا بعضا...

أجاب الثاني: والله إن هذه فكرة رائعة... لكن كيف ننفذها؟!..

قال الأول: كم أتمنى أن أرى نساء الأمة كلهن يخطرن أمامي دون ثياب... لأختار أجمل امرأة فيهن وأسهر معها متى أشاء.. وتكون هي مسرورة بذلك فيكف نصل إلى ذلك؟!..

قال الثالث: كم أتمنى أن يخالطنا النساء في العمل... والشارع، وليس في الحفلات فقط.. لنتلذذ بهن... ما رأيكم... هل تتحقق أحلامنا..!.

أجاب الأول: عندي فكرة... أنا صحفي... أنادي في صحيفتي بنظرية فلسفية جديدة.. أقول فيها: النساء يجب أن يتمتعن بالحرية.. يجب أن لا يكن ملكا للزوج الظالم... لينطلقن إلى الدنيا كما يهوين...

وقال الثاني: وتقول لهن أيضا... لماذا لا تعمل المرأة... لماذا لا تحمل عبء الاقتصاد مع الرجل...

وقال الثالث: فإذا سمع النساء صيحاتنا العلمية... قلنا لهن: ما هذه الهمجية... في لباسكن... تعطرن...وتزين.. وتعالين إلينا.. ما هذه الهمجية..؟!...

وقال الأول: وأقوم أنا بنشر صور النساء العاريات على أنهن فقط المحترمات المؤدبات.

وقال الثالث: إنها خطة ماكرة...

وقال الأول: وننتقل بعد ذلك إلى حرية المرأة في اختيار خطيبها.. وتجربة الحياة معه.. حتى تكون حياتهما المستقبلية حياة سعيدة... كل شيء يحتاج إلى تجربة...

قال الثاني: رائع.. رائع... وبالتالي فإن أي شاب تعجبه أي امرأة.. يدعي

أنه يريد أن يتزوجها... وتبدأ التجربة... فيأخذ منها ما يريد؟... ثم...

قاطعه الثالث: ثم... يقول إن التجربة لم تنجح... لم ينسجم معها...

قهقه الثلاثة معا.... وعبوا من كؤوس الخمر.. وقالوا: تحيا النظرية الجديدة...

قال الأول: ماذا نسميها في رأيكم؟!..

قال الثاني: أقول لكم سمها: النظرية الفلسفية العلمية عن المرأة المتحررة الكاملة...

صفق الثلاثة.. وعبوا من كؤوس الخمر مرة أخرى...

قال الثالث: عندها ستصبح نساء الأمة كلها لنا... سنختار من نريد ونجرب من نريد... سأبقى خاطبا مجربا طوال حياتي...

قال الأول: إياك أن تقترب ممن أجربهن... سأذبحك...

قال الثالث: النساء كثير... فلا تختصموا...

عانق الثلاثة بعضهم بعضا وتفرقوا وهم يقولون: هيا إلى العمل.. هيا.. هيا...

نرى الصحف تصدر بعناوين بارزة.. يا نساء الأرض... تحررن من قيودكن.. والنساء يقرأن.. يتساءلن: وما قيودنا؟!. يقرأن في صحيفة أخرى.. قيودكن الحياء والثياب المحتشمة... وسيطرة رجل واحد هو الزوج..

يقلن: الرجال يطعموننا... فمن أين نأتي بالطعام إن أردنا التحرر من الأزواج؟!..

يجيب فيلسوف الحركة النسائية: انزلن للعمل... هيا إلى المعامل.. هيا إلى المكاتب.. فورا نجد ألوف النساء يحرقن ملابسهن المحتشمة.. ويخرجن

من البيوت متزينات... وأزواجهن وآباؤهن يصرخن: يا ويلكن... إنها خدعة.... خدعة....

نرى ثلاثة من النساء يسرن؛ واحدة صبية جميلة، وثانية صبية قبيحة، وثالثة عجوز!.... يدخلن معملا.. يقفن عند بوابة الاستعلامات.. يقول لهن الموظف: أهلا بكن.. ماذا تردن؟! ويحوم حول الصبية الجميلة يتأملها بشغف... يقلن: نريد عملا... يقول لهن: حسنا.. أهلا بكن... سأدخلكن إلى غرفة المدير فورا... يدخل الصبية الجميلة إلى غرفة المدير... يستقبلها المدير بالترحاب... ويقول لها: هل ترضين أن تكوني سكرتيرتي... تجيبه: أنا؟!.. هذا يشرفني يا سيدي.. يقول لها: لكن بشرط أن تكوني متحررة.؟!. فتقول له: أرجوك لو لم أكن متحررة لما أتيت إلى هنا.. ينظر إلى الموظف ويقول له: اذهب إلى عملك.. ثم يجلس معها ويقول: إنني أشكو العزوبية... وأنا أبحث عن زوجة تعينني فلم أجد حتى الآن تلك الزوجة العظيمة... جربت الكثير من النساء... لكن أيا منهن لم تملأ نفسي وقلبي وعقلي...

تقاطعه: لكنك لم تجربني... لم تجربني... جربني وسأكون عند حسن ظنك..

يقف في وضع المفكر المتأمل ويقول: حسنا... حسنا... سنفعل... أرجو أن تصبحي... بعد التجربة الطويلة.. زوجي الحبيبة... ولك كل معاملي... وأموالي...

وتمر خمس سنين... ونعود لنرى الصبية قد امتصت... والمدير يعاملها بقسوة.. وهي تتأوه من الألم ومن قسوته.. وبعد فترة.. نجد المدير يطردها وهو يصرخ... هيا اذهبي إلى جهنم... لا عمل لك عندي..

تخرج من المعمل وهي تبكي... لكنها تتزين من جديد... وتذهب إلى معمل آخر... تجد المرأة المسنة التي سبق أن كانت معها خارجة من المعمل صباحا... تقول لها: هل طردوك؟ تجيبها: لا... لا... لكنني أعمل طوال الليل في تنظيف المعمل ومسحه، وقد انتهت الآن فترة عملي... سأذهب كي أستريح...

تدخل إلى المعمل فترى الفتاة الصبية القبيحة تقف خلف آلة لصناعة التريكو... قد هزل جسمها.. وشحب لونها... تقول لها: هل أنت مريضة؟!. فتجيبها: لا... لا... لكن العمل صعب... أعمل عشر ساعات؟! وأحصل على أجر قليل؟! ما أشقى هذه الحياة!!...

يقترب منها رجل طويل أشيب الشعر... فتعود الصبية القبيحة إلى عملها... يتفرس الرجل في الصبية الجميلة... ثم يقول لها... أهلا... أهلا... ماذا تريدين؟!

تجيبه: أريد عملا...

يسألها: عندنا أعمال كثيرة... تفضلي معي... تفضلي... تسير معه وعيون العمال كلهم تنظر إليها بنهم... تدخل مكتبه.. فيقول لها: لماذا لا تعملين سكرتيرة لي؟! فتجيبه... موافقة... بشرط أن لا أذهب معك إلى بيتك... فيظهر دهشته ويقول: عجيب... هل أنت مجربة..؟!... إنني أبحث عن زوجة.... أريد أن أجرب... فتجيبه: لكنني لا أحب أن أجرب.. أحب أن أعمل لأحصل على ما يكفي لنفقاتي... يجيبها: أنت غير متحررة... أنت عقلك جامد... رغم أن مظهرك متحرر.. على كل حال... أنت حرة... هيا... عندي عمل يناسبك... تبتسم وتسأله: وما هو؟!... يقول: طاهية لطعام

العمال... ما رأيك؟!... تجيبه: حسنا قبلت...

تعمل في طبخ الطعام... وتختلط مع العمال... فهذا يغازلها... وذاك يدعوها إلى بيته... وذاك يقذفها بالكلام البذيء... وذاك يأتيها وهو سكران... ليغتصب منها ما يريد...

كانت المسكينة تبكي... وتقول: ما هذا الشقاء... لا زوج... ولا طفل... ولا راحة... ما هذه الحياة: أصبحت مرحاضا لشهوات الرجال... وتسلية لهم...

أصبح عمرها خمسين عاما... نرى صاحب المعمل يطردها... فتذهب إلى معامل أخرى فتطردها كلها...

وأخيرا تذهب إلى البلدية.. فتعينها كناسة في شوارع العاصمة... تبدأ العمل عند الساعة العاشرة مساء... وتنتهي عند السادسة صباحا... نراها تسير مع عربتها تكنس الشوارع.. والثلج يتساقط عليها... والتعب يهدها هدا...

وأخيراً يصبح عمرها ستين سنة... إنها لا تستطيع العمل... فتجلس في زاوية من زوايا المدينة... تمد يدها إلى الناس تسألهم الصدقة... تنهمر عليها الأمطار والثلوج... فتموت في مكانها... وتأخذها سيارة إسعاف إلى أحد المشافي... ثم تنتقل إلى كلية الطب ليتعلم الطلبة بجثتها علم التشريح...

يقول المذيع: يا ويلهم من مجرمين... لقد ذبحوها وهي حية... وسلبوها كرامتها وعرضها... ثم حين ماتت انغرست فيها مباضعهم... إنهم الهمج الظالمون...

قال المذيع: أنتم تعلمون كلكم وضع المرأة في مجتمع الخلافة الراشدة...

على كل حال... تعالوا لنرى... تعالوا إلى أعظم حياة... وأنبل حياة تعيشها المرأة..

* * *

المرأة المكرمة

نرى طفلة تمشطها أمها... تقول لها: هل حفظت دروسك جيداً يا خولة؟! تجيبها... نعم... نعم... أنا الأولى في صفي... حسنا جهزي نفسك سيأتي والدك الآن... يجب أن يراك نظيفة... ماذا ستقولين له عندما سترينه؟... تقول الطفلة: سأقبل يده... وأقول له: أهلا وسهلا يا بابا...

يرن الجرس... فتسرع الطفلة لتفتح الباب... تستقبل والدها الذي يحمل في يده سلة مليئة بالطعام والألعاب.. تتناول منه ما يحمله... وتستقبله زوجه بأدب وحب... ويحمل هو طفلته... يقول لها: هل تحبين أمك أكثر أم تحبينني أنا أكثر؟؟... تجيبه: أحبكما معا يا أبي... لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاني أن أستوصي بأمي أكثر منك... يضحك ويقول: وهكذا يجب أن تفعلي يا حبيبتي... تأخذ زوجه عنه ثيابه... وتعطيه ثياب البيت... مكوية نظيفة.. معطرة... ويجلسون للطعام جميعا...

تقول الأم: ابنتنا خولة تحتاج إلى ثياب للعيد، وحذاء.. وقسط المدرسة لم ندفعه بعد.. يجيبها: حسنا.. خذي ما تريدين..

تستمر الأم: يجب أن تستقبل أخاها بعد رجوعه من مصر ناجحا بإذن

الله بهيئة حسنة.. ما رأيك؟!.. يجيبها.. أسرعي إذا فقد يأتي همام بعد أيام؟!..

نرى الأب نائما... والطفلة تخيط لعروستها ثوباً.. والأم تخيط لابنتها ثياباً جديدة...

يرن جرس البيت.. تنظر الأم من شاشة الجرس أمامها فترى ابنها هماما، تمتلئ بالفرح.. وتقول: الحمد لله على سلامتك يا بني.. يا خولة.. قومي واستقبلي أخاك هماما.. قد أتى.. لكن إياك أن توقظي والدك..

تفتح الأم الباب لابنها.. فيهجم على يديها يقبلها.. بينما تتعلق به أخته تقبل رأسه.. تقول له أمه: احذر يا بني.. والدك نائم إنه متعب.. فلا تزعجه.. يقول لها: أمرك يا ماما.. لكنني مشتاق إليه.. تجيبه: ستراه.. ستراه.. بعد أن يستيقظ..

يدخل حقائبه ويفتح واحدة منها ليخرج منها علبة رائعة الألوان.. يقول: أتدرين لمن هذه؟!.. تقول خولة: إنها لأمي يا همّام.. أليس كذلك؟.. يقترب الابن بحنان إلى أمه قائلاً لها: تفضلي يا ماما.. تقول له: وأين هدية والدك.. فيجيبها: وهل تتصورين أن أنسى أبي؟!.. تقول له: حسناً.. أخرج كل الهدايا.. وضعها على مكتب أبيك.. ولن نفتحها إلا بعد أن يستيقظ.. يلتفت همّام فيرى أخته الصغيرة خولة تبحث عن هديتها.. فيضحك مع والدته.. ويناولها صندوقاً كبيراً ويقول لها: هذه هديتك يا خولة.

يشعر الجميع بمن يقترب منهم.. فيلتفتون.. بينما يسرع همّام ويلقي بنفسه على يد والده ويقول له: أهلاً يا أبي.. كم أنا مشتاق إليك.. يضمه أبوه إلى صدره ويقول له: ها.. لقد أصبحت شاباً والحمد لله..

وتمضي الأيام.. وتصبح خولة صبية.. وهمّام شاباً قوياً.. والأم والأب قد دخلا سن الشيخوخة..

تقول له أمه: أريد أن أزوجك يا بني.. فيجيبها: لا.. حتى تتزوج أختي.. فتقول له خولة: وما دخلك بي أنا.. وهل تخاف عليّ؟؟ يضحك الجميع..

يطرق الباب.. تدخل امرأة تقول: أنا فلانة.. هل تسمحون أن أزوركم.. تستقبلها خولة، تحدّق المرأة بها.. ثم تقول: هل هذه خولة.. ما ألطفك يا ابنتي.. ثم تختلي بأمها وتقول: هل تقبلون ابني زوجاً لابنتك خولة.. إنه صالح.. ومثقف كبير.. وابن رضي.. ونقي.. تجيبها: أهلاً بكم لكن الرأي لخولة سأسألها.. تجيبها المرأة: طبعاً.. طبعاً الرأي لها..

في جلسة لخولة مع أبيها وأمها تجيب: لا بد أن أراه.. قبل أن أعطي رأيي..

يقول الأب: هذا حقك يا خولة..

في جلسة ثانية تقول خولة: لا أريده.. ظهر أمامي خائفاً.. وأنا أريد رجلاً..

تقول لها أمها: أحسنت يا خولة..

فجأة يموت الأب.. فتبقى الأم حادّة عليه.. لا تخرج من بيتها مائة وثلاثين يوماً..

لم يكن لهمّام شغل إلا إكرام أمه.. ورعاية أخته.. يتقدم خطيب لخولة..

تقول في جلسة عائلية مع أمها وأخيها: الخطيب ممتاز.. لكنني لا أريد الزواج.. لا أزال حزينة على أبي..

تجيبها أمها: رحم الله أباك يا ابنتي.. لم يطلب منك ربنا أن تمتنعي عن

الزواج حزناً على أبيك.. تزوجي وأنا متأكدة أن روح أبيك ستفرح بك.. ويقول أخوها: الأمر لك يا أختي.. فأنا أعتز بك..

تجيب: لن أتزوج حتى أزوجك..

يجيبها: أنا سأتزوج.. لكن عليَّ قبلها أن أجمع مهري.. وما يلزم لبيتي.. وبعدها سأتزوج..

بعدها نجد هماماً مع زوجه يقبلان يد أمه المسنة جداً ويطلبان رضاها.. وخولة وزوجها وأولادهما يقبلون يدها ويطلبون دعاءها.. ويلحون عليها أن تسألهما ما تريد من خدمات أو أشياء.. وتموت الأم.. فيبكي عليها همام وأخته وزوجه وزوجها والأولاد كلهم.. إنها الأم.. جنات الله تحت أقدامها..

يظهر المذيع ويقول: فهل هناك حياة أكرم من هذه الحياة؟!.. كم كانوا قبلنا همجاً؟!..

أنا آسف.. لا أريد النقاش!!

يقول المذيع: والآن.. لكنه قبل أن يتم كلمته ظهر على الشاشة رجل وقال: إن كنت تريد أن تدعوني لعرض نظامي.. فأنا آسف..

همس المذيع: إنه رئيس طائفة المشاعيين.. ثم قال: لكن لماذا يا محترم؟!..

أجاب رئيس طائفة المشاعيين: إنكم تمارسون علينا ضغطاً..

همس المذيع بدهشة: أعوذ بالله.. إن الله يقول لا إكراه في الدين. فكيف نمارس عليكم ضغطاً؟!.

على كل حال.. سأترك لرئيس قسم الأديان كي يناقشك..

ظهر رئيس قسم الأديان، عالماً مهيباً.. سمح الوجه.. قال: أسال رئيس

طائفة المشاعيين، كيف نمارس عليكم الضغط..؟!..

أجاب رئيس طائفة المشاعيين: إنكم حين تتركوننا نتحدث عن أديانناً.. فإنكم لا تتركونا وشأننا.. بل تناقشون أبناء الطائفة.. ما يؤدي إلى اقتناعهم بترك مبادئهم..

سأله رئيس قسم الأديان: وهل تريد أن تمنع الناس من أن يفكروا بحرية..؟!.. هذا ليس من حقك.. الحرية حق كل إنسان..!!

أجابه: إن من صلب ديني أن أمنع الناس من أن يفكروا بحرية.. لأن الحرية ضد المشاعيين.. إنها لا تناسبنا.. إن نظامنا مبني على أساس إكراه الناس حتى يعملوا بتعاليم نظامنا.. وإذا تركوه ذبحناهم.. لأننا نطبق عليهم الحق.. ويجب أن نجبرهم على تبنيه..

سأله رئيس قسم الأديان: أريد أن أسألك.. كيف انتشر الإسلام ووصل إلى حكم العالم..؟!..

أجابه: انتشر باقتناع الناس دون شك.. لأن الناس إن تركوا أحراراً تبنوا الإسلام.. أما نظام المشاعيين فلا تناسبه الحرية.. إن الذي يناسبه الديكتاتورية.. ديكتاتورية الجماعة..

ظهر فجأة على الشاشة رئيس طائفة الفرديين وقال: وعلى العكس هو ديننا.. إن دين الفرديين قائم على حرية دون حدود.. يفعل الإنسان ما يشاء دون أية ضوابط..

همس رئيس قسم الأديان: حسناً.. تفضلا وتناقشا..

دخل الاثنان غرفة التلفاز وجلسا معاً متقابلين..

صاح رئيس طائفة المشاعيين: أنا وقيادة المشاعيين فقط الذين نتخذ

للناس القرارات المناسبة..

وصاح به رئيس طائفة الفرديين: ومن أعطاكم حق اتخاذ القرارات للناس.. دعوا كل إنسان يفكر كما يشاء...

اقترب رئيس قسم الأديان وقال: أرجو أن تتناقشا بهدوء.. أريد أن أسألكما سؤالاً: من الذي يضع القوانين للناس في نظام كل منكما..

صرخ المشاعي: أنا والقيادة نضع القوانين والنظم لطائفتنا..

بينما صرخ الفردي: إننا نترك لكل إنسان أن يفعل ما يشاء..

ابتسم رئيس قسم الأديان: حسناً.. حسناً.. سواء كانت قيادة المشاعيين هي التي تضع النظام.. أم كل فرد لنفسه، أم من يوكلهم هذا الفرد.. أو ينتخبهم، فإن الذين يضعون القوانين هم البشر.. أليس كذلك..؟!..

أجاب الاثنان: طبعاً.. نحن من البشر..

سأل رئيس قسم الأديان: هل تعتقدون أن البشر يخطئون.. أم أن كل ما يضعونه من نظم هو صواب لا خطأ فيه؟!.

أجاب الاثنان: وهل هناك إنسان لا يخطئ؟!..

قال رئيس قسم الأديان: حسناً.. إذن قوانينكم فيها خطأ.. أليس كذلك..؟!

أجاب الاثنان: لكننا نصلح قوانيننا على الدوام.. نصدر التعديلات المستمرة.. لتصحيح القوانين الماضية..

تابع رئيس المشاعيين: حتى إن القوانين القديمة تلغى كلها نتيجة ما يحدث عليها من تعديلات..

سأل رئيس قسم الأديان: حسناً.. حسناً.. ولماذا تعدلون..؟!..

أجاب الاثنان: لأننا نكتشف أن القانون فيه خطأ.. فنصلحه..

ابتسم رئيس قسم الأديان وهمس: حسناً.. ولماذا لا تتركون الخطأ دون إصلاح..

أجاب الاثنان: لأن الخطأ في القانون يؤدي إلى وقوع الظلم على الناس..

أجاب المشاعي وحده: تعالَ أضرب لك مثلاً.. عندما طبقنا مشاعية الأسرة أول ما قام نظامنا صرنا نبعد الرجل عن زوجه وأولاده.. فنوظف الرجل في المشرق. وامرأته في المغرب.. وأولاده في الشمال.. فنتج أن الزوج حزن.. والزوجة حزنت.. فكرهنا نظامنا.. فهبط الإنتاج.. وقاما هما بتخريب البلاد عن عمد.. لذلك ألغينا مشاعية الأسرة..

سأل رئيس قسم الأديان: إذن فالنتيجة أن الخطأ في القانون يولد الظلم.. أليس كذلك..؟!..

أجابا معاً: طبعاً.. طبعاً.. لذلك فإننا نغير القوانين..

سأل رئيس قسم الأديان: فالمظالم في الدنيا كلها إذن نابعة من أخطاء القوانين أليس كذلك..؟!

أجاب الاثنان: هذا صحيح..؟!..

سأل رئيس قسم الأديان: والبشر لا يمكن إلا أن يخطئوا أليس كذلك ..؟!..

أجابا معاً: طبعاً.. طبعاً..

تابع رئيس قسم الأديان: فالمظالم إذن نابعة من القوانين البشرية.. صمت الاثنان..

فجأة ظهر رجل وقال: نرجوكم تدخلوا لحمايتنا من دين المشاعيين.. أنا مشاعي بالولادة.. أرجوكم خلصوني..

دخل أمير المؤمنين وقال: لقد كرم الله بني آدم.. وأول ما يؤدي إلى كرامتهم أن يكونوا أحراراً يستعملون عقولهم بحرية.. ويتبعون ما يقتنعون به دون إكراه.. لذلك ترفع كل ديكتاتورية عن أتباع دين المشاعيين. ليختاروا الدين الذي يريدون..

وفوجئت الأمة كلها أن جميع أتباع دين المشاعيين دخلوا في الإسلام دفعة واحدة..

ابتسم الخليفة وهمس: ما أفظع ذلك الدين الذي يتركه أتباعه كلهم في ليلة واحدة حين يُعطَون حريتهم.

أما الفرديون فأقول لهم: لا تتبعوا الأنظمة الخاطئة.. لأنكم تصابون في ظلها بالظلم ولكنكم أحرار في ظل دولة الإسلام.. إلا إذا آذت حريتكم جيرانكم.. عندها تتوقف حريتكم..

الذَهَب وَالتكريم..

عجب الناس كلهم حين اضطربت غرفة التلفاز كلها.. سمع الجميع نداءً: مولاي.. مولاي.. هناك خبر مدهش..

امتلأ وجه أمير المؤمنين بالحزم والقلق.. همس: ماذا يا رئيس دائرة كشف الكون..؟!.. قل.. هل نحن معرضون لكارثة كونية..؟!

أجاب: لا.. لا.. يا أمير المؤمنين..

سأل أمير المؤمنين: حسناً.. قل ما تريد.. أسرع..

أجاب رئيس دائرة كشف الكون: عثرنا على نجم في المجرة الملاصقة

لمجرتنا أمره عجيب..

سأله: وما أمره يا أخي؟!

أجابه: إن انعكاسات الأشعة الخاصة بكشف نوع المعادن التي نسلطها على هذا النجم تنبئ أنّه نجم من معدن ثمين..

سأل أمير المؤمنين: كم حجم النجم؟!

أجاب رئيس قسم دائرة كشف الكون: أكبر من أرضنا بألف مليون مرة..

همس أمير المؤمنين: سبحان الله.. أيها الناس.. أيها المؤمنون.. هذا كله لكم.. إن شاء أي فرد منكم أن يمتلك ألوف الأطنان من الذهب فسوف يحصل عليها.. لكني أقول لكم إن ما أعطانا الله من كرامة في ظل الإسلام هو أغلى من ذهب الكون كله.. إن المكرمين هم السعداء.. وإن ذهب الكون لا يُسعد إنساناً تعيساً أو مظلوماً.. فالكريم السعيد يحصل على كل شيء.. أما التعيس المسحوق فهمه أن يتخلص من تعاسته..

(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا).

لقد عاش الناس قبلنا في ظل أنظمة ظالمة همجية..

ما أتعسهم.. وما أشقاهم.. لقد كانوا همجاً..

اسعدوا أنتم في ظل رحمة الله وعدله.. وإياكم أن تعودوا عن دينكم فتتعسوا مرة ثانية كما كان الناس في ظل الجاهليات الهمجية يتعسون..